تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

محنة اللغة العربية بين أهلها! ماذا تخسر الأمة عندما تهمل لغتها؟

د. الحسين گنوان ص : 15

التهييء الرباني للنبي الخاتم ﷺ

ذ المفضل فلواتي رحمه الله تعالى ص : 4

المحجة

البريد الإلكتروني : almahajjafes@gmail.com

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

جامعة نصف شهرية

العدد : 345

07 ذو القعدة 1431هـ - 16 أكتوبر 2010م

الثمن : 3 دراهم

نظامنا التربوي والتعليمي!! من أين يبدأ الإصلاح؟

مناهجنا التربوية في معترك القيم ..... ذ. عبد المجيد بلبصير ص : 7

الاختلاط : فيروس حداثي يعربد في منظومة التربية والتعليم ..... د. عبد المجيد بنمسعود ص : 8

تغيير مناهج التعليم.. واختراق الحصن الأخير.. ..... ذ. محمد بوهو ص : 10

قيم الحداثة تحجم القيم الإسلامية في مقررات التربية الإسلامية ..... د. محمد ناصيري ص : 11

مقرر مادة التاريخ ومقاييس الفكر الأوروبي ..... ذ. أبي القاسم بوعزاوي ص : 12

دعائم النجاح في التربية والتعليم ..... دة. سعاد الناصر ص : 12

مدرسة مغربية خاصة تمنع تلميذة بسبب الحجاب!!

ص : 3

مصر توقف بث 4 قنوات فضائية بينها "الناس"

حقوقيون يطالبون بإلغاء عقوبة الإعدام في المغرب

افتتاحية

﴿الرحمن علم القرآن﴾

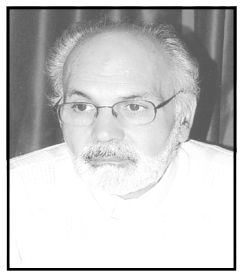

د. عبد العلي حجيج

لقد أدرك المسلمون طيلة تاريخهم القيمة الكبيرة للعلم والمنزلة العظيمة التي يحظى بها العلماء عند الله. أتاهم ذلك مما تلقوه عن الله سبحانه وما أخذوه عن رسوله الكريم ﷺ فقد حفظوا من وحي الله لهم في قرآنه قوله سبحانه : ﴿**يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات**﴾(المجادلة : 11) والمعنى أنه "يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات"(القرطبي 299/17) وقوله سبحانه :﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾(الزمر : 10).

ورووا فيما رووا عن الرسول الكريم ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(القرطبي 300/17)

وقوله يرغبهم في طلب العلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(رواه ابن ماجة). ويفهم منه : وعلى كل مسلمة. لأن القاعدة أن النساء شقائق الرجال في الأحكام (إلا ما استثني).

فأقبل المسلمون على العلم والتعلم وتواصوا بالعناية به ونشره فهو من جملة التواصي بالحق. وشيدوا المدارس والمعاهد والزوايا وسارعوا بأريحية لا نظير لها إلى المشاركة في الإنفاق عليها بما أوقفوا من عقارات متنوعة يصرف ريعها على شؤون التعليم (معاهد ومعلمين وطلبة ومكتبات).

ونحمد الله سبحانه على ما نراه ونسمعه من أن بلاد الإسلام في عمومها تعرف نهضة تعليمية واسعة تؤسس لها المدارس والمعاهد والجامعات وأن الجهود حثيثة لمحو الأمية وللقضاء على الجهل.

والجميع يريد لهذه النهضة المباركة أن تؤتي ثمارها اليانعة في الحياة العامة للمسلمين وأن ترفع منزلتهم عند الله أولا وبين الأمم وأن يستعيدوا ما ضاع من شخصيتهم وما فرطوا فيه من مجدهم وقوتهم وعزهم ووحدتهم وأن يتنبهوا إلى ما يحاك ويكاد لهم في الظاهر والخفاء من أساليب المكر والسياسات المخادعة للحيلولة دون فتح المجال لهم للرقي الحقيقي الذي يرتفع به شأن الأمة لتكون لها الكلمة الأولى فيما يخص قيمها ومبادئها ومستقبلها وشؤونها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والترابية.

ولكي تؤتي هذه الحركة التعليمية ما يؤمل منها من نتائج على مستوى الأمة الإسلامية ينبغي أن يستقي التعليم أصوله المنهجية في التربية والتكوين من نصوص الوحي أولا ومما ثبت صلاحه ونفعه من التراث الفكري والأدبي الذي أنتجته حضارة الإسلام.

فمما يمكن الاستفادة منه في مجال التعليم والعناية بالمتعلم في مختلف أطوار تعلمه، الرحمة به رحمة واسعة سواء نُظر إلى الفوائد التي ينتفع بها وينفع بها غيره مما يطلب منه تعلمه أو نُظر إلى المنهج المختار الذي يتم به تعليمه أو إلى أسلوب تعليمه والخطاب معه.

وأول أمر يلفت الانتباه في هذا المجال نأخذه من كتاب الله سبحانه حيث يظهر للمتأمل فيه أن الله الخالق هو خالق للإنسان ومعلم له ﴿خلق الانسان من علق﴾ و﴿علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾.

علمه علما عندما خلقه في العالم الغيبي ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾(البقرة : 30) وأن هذا العلم لم يكن عند أي مخلوق آخر. به أكرمه وشرفه ليحظى بمكانة ممتازة بين المخلوقات المهمة آنذاك : الملائكة والجن، فاعترف الملائكة وأنكر إبليس ففسق عن أمر ربه.

فهو سبحانه الخالق المعلم بربوبيته، والإنسان المخلوق هو المتلقي لعلم الله.

ويظهر من خلال القرآن أن تعليم الله للإنسان قد استمر طيلة التاريخ البشري عن طريق ما أنزله على الأنبياء والرسل في مختلف البقاع من الأرض وهم كثر ﴿**منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**﴾(غافر : 77).

ومن أوضح النماذج عن تعليم الرسل ما أخبر به سبحانه عن تعليمه لداود عليه السلام ﴿**وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد**﴾(سبأ : 10-11) وقوله ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم**﴾(الأنبياء : 79).

كما علم الله الإنسان عن طريق ما يلحظه مما يحيط به مما يدخل في العلم الميداني كمثل ما ورد من خبر أول قتل إجرامي وقع من إنسان لأخيه الإنسان ﴿**فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غُرابا يبحث في الارض ليُريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزتُ أن اكون مثل هذا الغُراب فأواري سوْءة أخي فأصبح من النّادمين**﴾(المائدة : 32- 33).

واقتضت حكمة الله سبحانه أن يختم كتبه بكتاب جامع مهيمن على كل ما سبق من الكتب يبلغه للناس رسول كريم جُمعت فيه فضائل كل الرسل السابقين.

فكان كتاب الله المعلم على أفضل صورة وأكمل منهج وكان محمد ﷺ بصفاته الحميدة بصفاء فطرته ونقاء غريزته وبذكائه وفطنته وبيانه... وباصطفاء الله له أحسن متلق. هو القارئ الأول لوحيه الذي يفهم مراد الله منه فيطبقه حق التطبيق "كان خلقه القرآن" ويبينه للناس البيان الشافي ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾(النحل : 44).

إن الله سبحانه المنزل لوحيه القرآن يعلم به رسوله ومن ورائه كل إنسان، يختار ليخبرنا بذلك اسما من أسمائه الحسنى لا يشاركه فيه أحد ﴿الرحمن علم القرآن﴾(سورة الرحمن) أنزله برحمته الواسعة الشاملة المنتشرة طولا وعرضا التي تعم جميع المخلوقات. تفضل سبحانه بواسع هذه الرحمة بإنزال هذا القرآن ليتعلم منه الإنسان العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، العلم الذي يحقق للإنسان كرامته ويرفع مكانته ومنزلته عند الله سبحانه وينفعه في دنياه وفي أخراه. فبرحمته بالإنسان (علم القرآن) لا بشيء آخر لأنه غني عن الخلق غنى مطلقا.

﴿**ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾(الذاريات : 57- 58).

ولكي يكون الإنسان المتلقي قابلا للعلم وقادرا عليه يحتاج إلى وسيلة هامة موكول أمرها إلى الخالق وهي : البيان. ولعل المراد بالبيان القوة الذاتية التي تجعل الإنسان يدرك ويفهم ما يلقى إليه ثم يعيده بأسلوب بين واضح جامع للمراد والمبتغى.

إن التعليم الذي يراعي الرحمة بالمتعلم فيما يقدم له من مقررات تستجيب لقيمه الدينية ولثقافة أمته الإسلامية وطموحاته الوطنية يقوده في ذلك معلم رحيم كفء في علمه مخلص في عمله أمين على تحقيق الأهداف النبيلة لمهنة التعليم، لهو تعليم يبني شخصية المتعلم بناء صحيحا في روحه وعقله وفي جميع مقوماته الذاتية والمجتمعية.

وتنتشر رحمة الله تعالى في القرآن وفي مخاطبته لرسله فهذا إبراهيم عليه السلام يطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى**﴾(البقرة : 259) فإبراهيم يسأل ربه أمرا يخص الله الخالق وهو سر من أسرار الخلق يتعلق بالحياة والموت ومع ذلك نلحظ أن إبراهيم عندما عبر عن رغبته في أن يتجاوز حد الإيمان ليصل إلى درجة عالية من الاطمئنان واليقين استجاب الله لطلبه من غير أن يلومه أو يعاتبه. وهذا موسى عليه السلام تجرأ على الله سبحانه عندما طلب منه أن يراه ببصره ﴿**قال رب أرني أنظر اليك**﴾(الأعراف : 143).

فأبان الله له أن أي إنسان بما هو عليه في خلقه وقدرته في الدنيا لا يمكن أن يرى الله ببصره. فإذا كان الجبل بضخامته وصلابته لا يقوى أن يتجلى الله عليه فكيف بالإنسان.

لقد أدرك موسى عليه السلام خطأ طلبه وما أصيب به من صعق إنما أتى من اهتزاز الجبل عند دكه وسارع موسى عليه السلام إلى إعلان توبته. وموسى أيضا عندما صرح لأتباعه بأنه أعلم من على وجه الأرض أخبره الله بأن هناك من هو أعلم منه وأرشده إلى الاتصال به بعد أن يقوم برحلة إلى مكان معين فانتهى به المطاف إليه ﴿**فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾(الكهف : 64) فهذا العبد الصالح (ويسمى الخضر في بعض الروايات) لم يصل إلى درجة عالية وخاصة من العلم إلا برحمة من الله سبحانه.

وهذا ذو القرنين الذي يثني الله سبحانه على ما أخبر به عنه عندما بلغ بين السدين ووجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. وجد قوما مظلومين خائفين باستمرار رجوه أن يقيم حاجزا منيعا بينهم وبين ياجوج وما جوج فأقام لهم جدارا منيعا، عندما انتهى من بنائه وقف فيهم خطيبا في يوم (تدشين الجدار المنيع). كان أهم ما قاله : ﴿**هذا رحمة من ربي**﴾(الكهف : 94) فرحمة الله التي سرت بضيائها في قلب وجسم الإسكندر هي التي جعلته يرحم هؤلاء المظلومين الخائفين على أولادهم وأموالهم وحياتهم فساعدهم ببناء الجدار المنيع فهو رحمة تعود في بعثها إلى الرب الخالق ولكن الجدار لا يضمن له الدوام على الإطلاق فمتى شاء الله أن ينهدم ويتصدع فلا بد وأن ينهار.

وشبيه بهذا في استشعار اسم الرحمن في القلب والذات معا ما وصف الله به عباد الرحمن ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾(الفرقان : 63) أما عن الرسول الكريم ﷺ المتلقي فالله سبحانه الذي برحمته أنزل عليه القرآن وقد جعل رسوله الحامل لهذه الرحمة رحمة للعالمين ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾(الأنبياء : 106) وجعله رحيما بصحابته وبالمومنين. قال سبحانه ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾(آل عمران :159) وقال أيضا :﴿**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم**﴾(التوبة : 129).

وكل مسلم من الصحابة ومن أتى بعدهم طيلة تاريخ المسلمين إلى الآن ممن يقبل على القرآن الكريم وعلى سنة الرسول الأمين قراءة وفهما وتدبرا وعملا يستشعر رحمة الله وأثرها في الرسول فهو قارئ متلق بتلقي الرسول ﷺ المتلقى عن الله سبحانه. خصوصا والمسلمون مطالبون بأن يفتتحوا أفعالهم وأقوالهم ب"بسم الله الرحمن الرحيم" المتضمنة للرحمة المضاعفة للرحمة العامة والرحمة الخاصة. والمسلم عندما يقولها يأخذ نصيبا من الرحمة العامة التي يمنحها الله لجميع ما خلق ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾(الأعراف : 156).

ونصيبا من الرحمة الخاصة التي يمنحها الله لعباده المومنين ﴿**وكان بالمومنين رحيما**﴾(الأحزاب : 43).

إن التعليم الذي يراعي الرحمة بالمتعلم فيما يقدم له من مقررات تستجيب لقيمه الدينية ولثقافة أمته الإسلامية وطموحاته الوطنية يقوده في ذلك معلم رحيم كفء في علمه مخلص في عمله أمين على تحقيق الأهداف النبيلة لمهنة التعليم، لهو تعليم يبني شخصية المتعلم بناء صحيحا في روحه وعقله وفي جميع مقوماته الذاتية والمجتمعية.

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

مدرسة مغربية خاصة تمنع تلميذة بسبب الحجاب!!؟

يبدو أن ظاهرة الحرب على الحجاب في المدارس التعليمية لم تعد حكرا على دول أوربية بعينها، وأن هذه الظاهرة عرفت طريقها إلى المغرب مع مطلع الموسم الدراسي الحالي، بعد تسجيل حادث رفض قبول تلميذة مغربية في مدرسة خاصة في الدار البيضاء بسبب ارتداء التلميذة للحجاب. واضطر والد تلميذة كانت تتابع دراستها في إحدى المدارس الخاصة في مدينة الدار البيضاء إلى تنقيلها باتجاه مؤسسة تعليمية أخرى بعد أن رفضت المؤسسة التي كانت تتابع بها دراستها استقبالها برسم الموسم الدراسي الحالي بسبب ارتدائها للحجاب.

وحسب رشيد البقالي، والد التلميذة سامية المزدادة سنة 1999، فإن مدير مدرسة la ribambelle، حيث ظلت ابنته تدرس، اتصل به وخيّره بين إقناع ابنته بنزع الحجاب وبين نقلها إلى مدرسة أخرى لأنها باتت تزعج باقي التلاميذ في القسم!!، غير أن الأب تشبث بأن طرد تلميذة بسبب ارتدائها للحجاب يخالف القوانين الجاري بها العمل في المغرب.

وأعرب والد التلميذة سامية البقالي عن أمله في أن يتم فتح تحقيق في قضية ابنته، مضيفا أن المسؤول الإداري عن المؤسسة أفهمه بأن المدرسة لا يمكنها أن تقبل بأي حال من الأحوال، استقبال تلميذة يمكن أن تزعج زملاءها في القسم بالحجاب، وهو ما يعتبره الأب انتهاكا لحقوق ابنته. ● موقع هسبريس بتصرف

مصر توقف بث 4 قنوات فضائية بينها "الناس"

القاهرة – وكالات : أوقفت مصر يوم الثلاثاء 12 أكتوبر 2010 بث 4 قنوات فضائية على القمر الاصطناعي المملوك لها "نايل سات" مؤقتاً ووجهت إنذاراً لقناتين أخريين، مرجعة ذلك إلى "مخالفة شروط البث".

وذكرت وكالة أنباء "الشرق الأوسط" المصرية الرسمية أن "المنطقة الإعلامية الحرة أوقفت ترخيص شركة البراهين العالمية المالكة لعدد من القنوات الفضائية.

وفي يونيو الماضي هددت إدارة "النايل سات" المصري قناة "الناس" بالإغلاق، إذا لم توقف بثّ برنامج "سهرة خاصة"، الذي يتناول الشبهات التي يلقيها زكريا بطرس عن الإسلام. وزعم الإنذار أنّ البرنامج يتضمن إساءة إلى النصارى والنصرانية.

وتعتبر قناة الناس هي أحدث قناة دينية يطالها قرار الإغلاق بعد قناة "الرحمة" التي أوقف النايل سات بثها خلال العام الجاري، وذلك بعد اعتراض ومطالبة المجلس السمعي والبصري الفرنسي بوقف بثّ القناة بعدما اتهمها بمعاداة السامية.

ونقلت وكالة الأنباء (رويترز) عن مراقبين قولهم إن مصر استاءت من تدخل قنوات فضائية عربية بشكل غير مباشر في قضايا طائفية، وذلك بعد أسابيع قليلة من التوتر الطائفي الناجم عن تصريحات رجل دين مسيحي كبير انتقد فيها الدين الإسلامي، إضافة إلى تناقل مواقع الانترنت أنباء أفادت بأن زوجة كاهن أسلمت وان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تحتجزها.

حقوقيون يطالبون بإلغاء عقوبة الإعدام في المغرب

نظم "الائتلاف المغربي لإلغاء عقوبة الإعدام" المكون من سبع جمعيات حقوقية وقفة أمام مقر البرلمان الرباط من أجل تجديد مطالبته بضرورة إلغاء عقوبة الإعدام.

لإحياء اليوم العالمي الثامن ضد عقوبة الإعدام المنظم هذا العام وطنيا تحت شعار "من أجل مغرب.. بدون عقوبة الإعدام".

وقال المنسق الوطني لـ"الائتلاف المغربي لإلغاء عقوبة الإعدام" عبد الإله بن عبد السلام إن أكثر من 120 شخصا محكوما عليه بالإعدام في السجون المغربية "يعيشون وضعا نفسيا وصحيا مزريا وإنه لا بد من تدخل لإنقاذهم". ونقلت وكالة الأنباء الألمانية عن عبد السلام إضافته أن السجون المغربية أغلقت أبوابها في وجه الجمعيات والمنظمات الحقوقية لتفقد أوضاع هؤلاء السجناء "الذين يفضل عدد منهم الانتحار عوضا عن انتظار أن تنفذ فيه العقوبة".

واستغرب الناشط المغربي امتناع المملكة عن وعود بإلغاء عقوبة الإعدام، مضيفا أنه من المفارقات أن المغرب طبق آخر مرة عقوبة الإعدام عام 1994.

وذكر بن عبد السلام أن المغرب يمتنع في كل مرة عن التصويت على الاتفاقية الصادرة عن الأمم المتحدة بهذا الشأن، وأن "المحاكم المغربية أصدرت العام الجاري ما لا يقل عن أربع عقوبات الإعدام".

تعليق : قال الله عز وجل: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب﴾.

ساركوزي.. الصديق الحميم لإسرائيل

تحت عنوان "نيكولا ساركوزي.. الصديق الحميم لإسرائيل"، عالجت الصحافية إيزابيل أفران الدور النافذ الذي لعبه ويلعبه ساركوزي لصالح الدولة العبرية، سواء في انضمامها لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، أو لترسيم وتعزيز مشاريع اقتصادية وعسكرية وفي مجالات عديدة ومتباينة. وقد أصبحت فرنسا بموجب هذا التعاون الثنائي الزبون الثامن لإسرائيل. وعليه عرفت السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط، بمجيء ساركوزي إلى الحكم، إعادة ترتيب في اتجاه تقارب حميمي مع إسرائيل، فيما المجتمع المدني يطالب بسياسة بديلة ومتكافئة. أما بحث المؤرخ بيرنار رافونيل، فيركز على المحور الاستراتيجي الثنائي، العسكري والسياسي بين فرنسا والدولة العبرية. دونيه سيفر، رئيس تحرير أسبوعية ؛بوليتيس"، خصص بحثه لما سماه بالساركوزية الإعلامية والثقافية، مشيرا إلى أنه لا يوجد مثقفون ساركوزيون بقدر ما هناك أشخاص التحقوا بركب الرئيس للدعاية لأفكاره. فيما وقف دومينيك فيدال، المؤرخ والصحافي بشهرية "لوموند ديبلوماتيك"، على المنزع الانتحاري لإسرائيل والقاضي بنصب فزاعات "الانقراض" الذي يهدد إسرائيل من طرف الدول العربية، الذي يبرر كل ممارساتها إما لجلب عطف الغرب وإما للاعتداء على الشعب الفلسطيني بفرض سياسة الأمر الواقع في فلسطين. تتكامل وتتقاطع هذه الدراسات عند أكثر من فرضية واستنتاج، وخاصة عند فكرة أن ساركوزي قد أحدث بالفعل قطيعة مع سياسة سابقيه، بجعلها نظيرة لسياسة إسرائيل، الشيء الذي انتقص من مكانة، وصورة وموقع فرنسا في الشرق الأوسط وفي العالم العربي عموما.

● جريدة المساء المغربية العدد : 1262

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 220 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي : **جريدة المحجة (قسم الاشتراك) : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات فاس - المغرب**

خاص بالمشتركين

- إيمان بناني حميد(فاس)، مريم العلوي(فاس)، محمد القاسمي (وجدة) :

الجريدة ترجع إلينا فالرجاء تصحيح العنوان أو موافتنا بعنوان جديد. وشكراً

ألم قلم

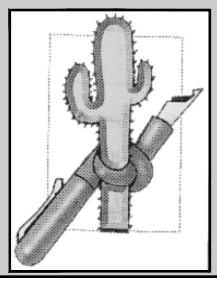

متى نغضب؟

من المعلوم أن الغضب منهي عنه من الناحية الشرعية، للحديث المشهور الذي قال فيه الرسول ﷺ : «لا تغضب» ثلاث مرات، لكنه مشروع وواجب حيثما تنتهك حرمات الدين ومسلماته ومقدساته، فلقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله.

وما أكثر ما نرى ونقرأ ونسمع عن انتهاك صريح لهذه الحرمات في أكثر من مكان دون أن يحرك الغيورون، أو من يفترض أنهم كذلك، ساكنا وكأن الأمر عاد من المألوفات أو من باب الحريات العامة والشخصية، أو من باب المثل «للبيت رب يحميه».

قبل أسابيع هدد قس أمريكي بحرق 100 نسخة من القرآن الكريم، وندد الاتحاد الأوروبي والبيت الأبيض ودول أوروبية عديدة بهذا التهديد، الذي لم يكن فيما يبدو مجرد نية، لكن مع ذلك حصل التنديد من هؤلاء، وانتظرت أن أسمع ما يشبه التنديد من الجهات الرسمية العربية والإسلامية فلم أسمع شيئا إلا من الرئيس اللبناني -وهو مسيحي العقيدة كما هو معلوم- ورئيس الحكومة في العراق، الذي أشار إلى أن وقوع هذا الحدث قد يسبب ردة فعل عنيفة من جانب "المتطرفين"، مما يعني أن الاستنكار لم يكن بدافع الدفاع عن حرمة القرآن الكريم، ولكن بدافع هاجس أمني لا غير، ولولا احتمال ذلك لم يكن ليحرك ساكنا!!

وقبل أسابيع أيضا، تناقلت وسائل الإعلام نبأ تكريم المستشارة الألمانية لصاحب الرسوم المسيئة تحت غطاء حرية التعبير، وكأن حرية التعبير لا تبلغ مداها إلا بالإساءة لأشرف الخلق، ومن ثم الإساءة إلى مشاعر الملايين من المسلمين، ومر الحدث دون أن تحرك أي جهة رسمية ساكنا، وكأن الأمر لا ينبغي أن يهم أي أحَدٍ من هؤلاء الرسميين..

وقبل أيام أقدم اليهود الصهاينة على إحراق أحد المساجد في فلسطين، وذلك بعد سلسلة إحراق العديد من المساجد خلال السنوات الماضية، لعل أبرزها وأهمها إحراق المسجد الأقصى المبارك... نعم تحركت كل الجهات الرسمية الإسلامية وعُقد أول مؤتمر لها في المغرب، وتأسست نتيجة ذلك منظمة المؤتر الإسلامي... لكن لم يكن المسجد الأقصى هو الذي أحرق فقط، فلقد أحرقت مساجد أخرى ودنست وهدمت وقصفت وحُوِّل بعضها إلى خمارات وملاهٍ في فلسطين، وغير فلسطين أيضا، ولم تحرك المنظمة ولا غير المنظمة ساكنا، وكأن بيوت الله رُكام من أحجار لا غير.

وبيْن هذا وذاك تحْدُث أحداث كُبْرَى يوميا هنا وهناك كلها تتضمن إساءة لعقيدة الإسلام وحضارته، واحتقاراً للمسلمين وشعائرهم، حتى صار شخص المسلم أذل الأشخاص، ودمه أرخص الدماء، وعقيدته أحقر العقائد في عالم يصيح صباح مساء نُعاته (نعم نعاته) بحقوق الإنسان وحرية التعبير، وما إلى ذلك من شعارات.

وأغرب من هذا أن عدداً ممن يحملون أسماءنا من بني جلدتنا، وبعضهم يحمل عمائم مختلفة الأشكال والأحكام والألوان، شمّروا عن ساعِد الهدم، وكشفوا عن وجه الرفض والعدوان وأطلقوا ألسنة السوء بسب الصحابة وقذف أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم، دون حياء ولا خوف، وكأنهم بذلك، بل هم كذلك، يكملون الحلقة التي تصوروها مفرغة، حينما أساء أصحاب الرسوم المسيئة إلى شخص الحبيب المصطفى ﷺ، فأكمل هؤلاء الحلقة بإساءتهم إلى أزواجه أمهات المؤمنين، والبقية تأتي...

ألا لعنة الله على كل فاسق خبيث حتى ولو كان معمماً من طينة "عَاسِرِ الخبيث".

د. عبد الرحيم بلحاج

هذه آخر محاضرة ألقاها المرحوم الأستاذ المفضل فلواتي عليه رحمة الله تعالى ويقدر الله تعالى أن يكون موضوعها حول السيرة النبوية العطرة حيث جال بنا في أسرار الإعداد الرباني للنبوة الخاتمة، كان ذلك بمناسبة المولد النبوي لعام 1431هـ بمدينة مكناس.

التهييء الرباني للنبي الخاتم ﷺ 1

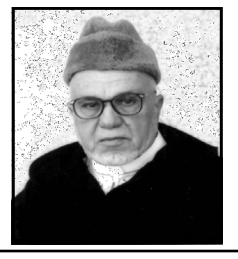

ذ. المفضل فلواتي -رحمه الله تعالى

التهييئ الرباني هو دائما تهييئ لكل نبوة، ولكن التهييئ الرباني لمحمد ﷺ هو تهييء متميز عن غيره من التهييئات لجميع الأنبياء والرسل السابقين، وهو تهييئ يشتمل على تهييئين تهييئ قبلي وتهييئ بعدي.

أولا : التهييئ القبلي

فمحمد ﷺ كان له تهييء قبلي -قبل الميلاد- في عالم الغيب وهذا لم يكن إلا له وهو التميز الكبير الذي سوف نتكلم عنه، ثم التهييء البعدي عندما ولد وعندما هيأه الله تعالى ليكون إنسانا كاملا بل هو قمة الكمال. ولهذا سوف نرى أن الله تعالى اختاره هو، واختار أصله واختار بلده واختار أمته، كل ذلك ليس للأنبياء السابقين، ثم كلف الأنبياء السابقين بأن يؤمنوا به قبل أن يأتي وهذا لم يُعط لمن سبقه من الأنبياء وأوصاهم بأن يبلغوا أممهم بأنه سوف يأتي هذا النبي وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الإعلان عن نبوة محمد ﷺ قبل أن يبعث وسوف نذكر بعض النصوص في ذلك -إن أسعفنا الوقت- فليس هناك نبي غيره مبشر به من جميع الأنبياء وموصى باتباعه عندما يبعث، وعندهم صفاته : صفاته الجسمية وصفاته الخلقية وصفات أمته كيف هي وكيف ستكون، هذا كله سوف نتعرض له ثم بعد ذلك ندخل إلى التهييء البعدي.

فأقول : هذا العصر يعرف قدرا كبيرا من التبلد في الإحساس وضعف الشعور بقيمة هذا الدين، هذا التبلد هو تبلد محلي وتبلد عالمي، شارك فيه الإعلام المحلي والإعلام العالمي تبلد وصل إلى أننا لم نعد نعرف أن ديننا هو سلعة ربانية ليست مطلق سلعة لا، وإنما سلعة ربانية، لكن المزورين زوروا لنا ديننا فرسخوا فينا البلادة الحسية والبلادة الشعورية والبلادة الإيمانية مما جعلنا نقبل فهمهم المنحرف للإسلام الذي يسوق لنا عبر إعلامهم، وهذا أمر مؤسف، وسوف نشير لذلك ببعض الكلمات. فقد نجح هؤلاء في مخططهم : لم ينجحوا بالسلاح ولم ينجحوا بالقتال ولم ينجحوا بالمواجهة، ولكن عندما أزالوا لنا القرآن وأزالوا لنا السنة وأزالوا لنا الأخلاق الإسلامية، وأزالوا لنا العادات الإسلامية ثم ملأوا الفراغ بما أرادوا وبما خططوا له وبما به يمكرون لنا حتى صرنا لا نقبل إلا على ما يقدم إلينا عبارة عن مستهلكين نستقبل ولا نرسل لذلك وجب الحديث عن تهييئ الله تعالى لرسوله وصنعه له ليكون أحسن عارض للإسلام، لأن الأنبياء يصنعون ليكونوا أحسن العارضين لسلعة الله، **سلعة الله يجب أن يختار لها ويصنع لها من يحسن عرضها لكي تبين وتقام الحجة على الناس. لأن الله تعالى لا يعذب أحدا هكذا ولكن بعد أن تقام عليهم الحجة** أي عندما تعرض عليهم السلعة حقيقة ويعرف أصحابها كيف يعرضونها ومع ذلك لا يؤمنون بها فعند ذلك تقوم الحجة عليهم. فالرسول ﷺ نظرا لكونه يتميز عن سائر الأنبياء لأنه أحسن نبي معرف به وهو إمام الأنبياء لأن الله تعالى أعطاه من صفات كل نبي أحسنها فقال له بعدما استعرض أمامه في القرآن الأنبياء الذين سبقوه : ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾(الأنعام : 90). محمد رسول الله ﷺ بهذا الكمال فقد اجتمعت فيه كل صفات الأنبياء.

نحن نريد أن نبين مزايا نبينا التي لا نعرفها وينبغي أن نعرفها ويعرفها أولادنا وأزواجنا لكي نعرف إمامنا الذي نقتدي به. تعرف حياته من أول نشأته إلى آخر مماته كل شيء يعرف عن محمد ﷺ حياته الإنسانية : كيف ولد؟ كيف عاش؟ كيف رضع؟ كيف يتم؟... إلى غير ذلك مما سنشير إليه. هذا محمد الإنسان ومحمد الرسول : محمد الداعية، يعرف كذلك معرفة دقيقة لا مزيد عليها أينما ذهبت في القرآن وفي كتب السيرة وكتب السنة. تعرف حياته الدعوية من: إقرأ باسم ربك...إلى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾(المائدة : 3). لا يغيب عنا شيء منه. ومحمد ﷺ لا بأس أن نستأنس ببعض الشهادات وشهادة الدكتور الأمريكي مايكل هارد الذي أرغم على وضعه على رأس قائمة المائة من الرجال العظام الذين كان لهم الأثر الكبير في التاريخ، فبماذا علل ذلك؟ علل ذلك بقوله و«لكنه هو الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي» هذا كلام رجل غربي، وهو يعلم أن الحضارة الغربية لم تستطع أن توفق بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وثاروا على الكنيسة لأنها لم تكن تمثل الدين الحق، ووضعوها جانبا وساروا في دنياهم، فاعتنوا بالدنيا وجهلوا ما وراءها ولذلك أصبحوا كما يقول الله تعالى عنهم : ﴿**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾(الروم : 7) وقال الله تعالى لرسوله : ﴿**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم**﴾(النجم : 28) المسلمون عندهم دنيا وآخرة، دنيا نعيشها لتكون مطية للحياة الحقيقية التي يقول عنها الله تعالى : ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾(العنكبوت : 64) لأن هذه الحياة الدنيا بعدها مماة لكن الحياة الأخرى هي حياة الخلود لا مماة بعدها وهي الحياة على الحقيقة، ولذلك نجد الإنسان عندما تحضره الموت إذا كان من الذين لم يعملوا للآخرة ماذا يقول؟ ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ أي لآخرتي كأن ما عاشه قبل ليس من الحياة بل ليس حياة، بينما الذي قدم لحياته، ونرجو أن نكون منهم تقول له الملائكة: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾(الفجر : 27).

ولهذا فإن التجديد الديني الحقيقي هو ما ينبغي أن يستهدف إرجاع المسلمين إلى ثقافتهم الحقيقية، إلى ثقافتهم الإسلامية.

أقول لإخوتي، رسول كهذا، ورجل كهذا وكمال كهذا ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(القلم : 4)، هل يحتفل به بالطبول والمزامير وجرح الرؤوس بالشواقر؟ هل يحتفى بذكره بالأمداح والأشعار والغناء وأحيانا الرقص؟ هل يحتفى بذكراه بالأناشيد والوقوف على الأقدام - البعض يحيي الليلة بقول بعض الأناشيد ويضعون إناء ماء ويقرأون عليه المولودية وحتى صلاة العشاء لا يؤدونها، ويكتفون بالأناشيد والماء، وزغاريد النساء، وشرب الماء... ويكونون بذلك قد أعطوا لمحمد ﷺ حقه -تبارك الله- نحن نقول: الزريعة لازالت متبقية إنما تحتاج السقي والتعهد. هل يحتفى بذكراه بمجرد الاجتماع في المساجد وإحراق البخور، هل هذا يعتبر احتفاء حقيقيا بالرسول ﷺ الذي نتكلم عنه؟ الرسول الذي اصطفاه الله تعالى لتبليغ دينه، لأن الدين أغلى شيء في الوجود وأحسن شيء في الوجود ينبغي أن يختار له أحسن الناس فلهذا قال الله تعالى: حتى نعرف سنة الله، ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض**﴾(آل عمران : 33). هذا بالنسبة للأنبياء، أما بالنسبة لورثة الأنبياء، فقد قال الله تعالى عنهم : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾(فاطر : 32) المسألة مسألة اصطفاء. الدين دين الله والله يختار له. من يحبه، والدنيا يعطيها الله لمن يحبه ومن لا يحب. الدنيا مباحة للجميع، لكن هذا الدين يعطيه الله لمن يحبه. والدعوة بالأخص، يعطيها الله لمن هو شديد الحب له. لأن الإسلام مباح للجميع لكن الدعوة يختار لها النخبة، وليس كل الناس.

الدين دين الله والله يختار له. من يحبه، والدنيا يعطيها الله لمن يحبه ومن لا يحب. الدنيا مباحة للجميع، لكن هذا الدين يعطيه الله لمن يحبه. والدعوة بالأخص، يعطيها الله لمن هو شديد الحب له. لأن الإسلام مباح للجميع لكن الدعوة يختار لها النخبة، وليس كل الناس

1- اصطفاء النسب :

ومن ذلك قول الرسول ﷺ : «أنا محمد بن عبد الله. إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا، وخيرهم نفسا». وقال ﷺ: إن الله اصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. وقال «إن الله اصطفى من بني إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». وقال: «**خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح**»، من ذرية آدم كلها، خرج من زواج شرعي.

2- اصطفاء زماني :

يقول ﷺ : «**بعثت من خير قرون بني آدم، قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**»(رواه البخاري). ثم قال أيضا : «إني عبد الله وخاتم النبيئين، وإن آدم لمجندل في الأرض -لازال في الأرض وهو اختاره الله-. وأنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي، كأن نورا خرج منها، أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام». واختار له كذلك أن يكون عام مولده عام انتصار للبيت، انتصار على الطاغية أبرهة، فالله تعالى لم ينصر قريشا ولم ينصر عباد الأصنام، ولكن نصر بيته، ورد العدو عن بيته، من أين نأخذ هذه المعجزة، نأخذها من قوله تعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ السورة معروفة، لكن الحلاوة، والإعجاز أين هو؟ ﴿**ألم تر كيف فعل ربك**﴾، **ربك أنت يا محمد**، إذن كأن رد الفيل كان معجزة لمحمد ﷺ قبل أن يولد، فهو ولد عام الفيل.

3- اصطفاء جغرافي :

وكما اختار له الأسرة واختار له الزمان، اختار له البلد الحرام، الذي هو أشرف بلد على وجه الأرض ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**﴾(آل عمران : 96). وهذا طبعا إشعار لأول مرة، بأنه سيكون رحمة للعالمين كما أنه ولد بالمسجد الحرام الذي هو قبلة للعالمين وهدى للعالمين، إذن المسجد الذي هو قبلة للعالمين وهدى للعالمين، ينبغي أن يولد فيه الرسول الذي هو رحمة للعالمين.

ومن الإعداد الجغرافي لقدوم رسول الله ﷺ، نذكر إعادة حفر زمزم التي فجرها الله تعالى لإسماعيل عليه السلام، لنبي ولأم نبي، ولكن وقعت حروب وطالت عليها قرون، فطمرت فلم يعد يعرف لها مكان، وقبل قدوم سيدنا محمد ﷺ تدخل الله مباشرة فصار عبد المطلب جد الرسول ﷺ يسمع هاتفا

بالليل يقول له احفر طيبة، فيقول له ما طيبة؟ فيقول له كذا، احفر المضنونة في الليلة الثانية، فيقول له فما المضنونة؟، ثم يقول له احفر زمزم، ماؤها لا يوذن، إلى غير ذلك، احفر... لكن أين هي؟ فقال له بالتوضيح المباشر المحسوس، احفرها عند نقر الغراب الأعصم، بين الفرث والدم، اخرج عندما ترى الغراب الأبيض، والغراب الأبيض قليل، عندما ترى الغراب الأبيض، ينقر بين الفرث والدم، هناك احفر. وهذه هندسة ربانية وليست هندسة بشرية.

ثم إن زواج أبيه من أمه فيه عبرة، ذلك أن عبد المطلب عندما نازعته قريش في ماء زمزم ولم يكن له عصبة من أولاده نذر إن أعطاه الله عشرة أولاد ذكور وبلغوا معه مبلغ الرجال حتى يحموه فإنه سيذبح منهم ولدا تقربا إلى الله، فولد له عشرة ذكور فبلغوا مبلغ الرجال وكان أصغرهم وأحبه وأجملهم عبد الله آنذاك قدمه ليذبحه ولكن قريشا منعته، فقال لهم أنا نذرت، ولا يمكن أن أحنث بوعدي، أو أخلف نذري، فقالوا له ابحث لعلك تجد مخرجا، فذهبوا عند عرافة بعيدة فقالت لهم : كم الدية فيكم؟ قالوا لها الدية فينا عشر من الإبل، فقالت لهم اذهبوا فقدموا صاحبكم وعشرا من الإبل واقترعوا عليهم، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا عشرا... فبدأوا يزيدون عشرا فعشرا حتى وصلت مائة وسار يقدم بالعشرات حتى إذا ما بلغت مائة خرجت القرعة على الإبل، فأعادها مرة ثانية فخرجت على الإبل، فأعادها في المرة الثالثة فخرجت على الإبل، هناك قال : إن ربي قد رضي، وذبحت النوق.

ثم تزوج عبد الله آمنة بنت وهب، ومكث معها شهرين فحملت منه فذهب للتجارة فمات، فلم تنفع معه مائة من النوق ولا ألف ولا غير ذلك، مامعنى هذا؟ معناه، أن عبد الله وجد ليؤدي رسالة هي أن يكون أبا لمحمد ثم بعد ذلك يجب أن يغيب لأنه موجود في الكتب القديمة أن النبي الخاتم، من صفاته الكبرى أن يكون يتيما أن يكون أميا أن تكون له علامة ما بين كتفيه خاتم النبوة، وأن يبعث في الأمة الأمية ليكون ذلك معجزة، ولازالت معجزة إلى الآن.

تلك أمة أمية أنظر ماذا صنعت، ونحن أمة مدكترة ومجازة، ومع ذلك، لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم بالنسبة لكونه فدي بمائة ناقة كان رسول الله ﷺ يفتخر بذلك، فكان يقول : «أنا ابن الذبيحين»، أي هو ولد إسماعيل الذبيح الأول، وهو كذلك ابن الذبيح الثاني. الأول فدي بكبش، وهذا فدي بمائة ناقة. هذا أبو محمد كان وزنه مائة ناقة، أما رسول الله ﷺ كم كان وزنه؟ عندما جاء الملائكة وشقوا صدره قال زنه بعشرة من أمته فرجحت كفته، فقال زنه بمائة فرجحت كفته، فقال زنه بألف فرجحت كفة محمد ﷺ، فقال اتركه، لو وزنته بأمته كلها لرجحها، لهذا فمحمد ﷺ هو وحده أمة ونحن جميعا نأخذ من هذا الإرث لنكون ما تجمع فيه وتفرق فينا.

4- اختيار الاسم :

ثم اختار له من الأسماء أفضلها فسماه الله تعالى محمدا، مكتوب هكذا في التواريخ القديمة والكتب القديمة، ومعنى محمدا أي لا ينقطع حمده. وذلك أن أمه آمنة عندما حملت به، قالت : «رأيت كأنه خرج مني نور، أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام، وأتاني آت وقال لي إنك حملت بسيد ولد آدم، فإذا ولدته فأعيذيه بالواحد من شر كل حاسد وسميه محمدا»، إذا فالاسم مختار، ثم جده أيضا جاءه هاتف في المنام وقال سمِّه محمدا وعندما ذهب وكان هذا الاسم غير معروف قالوا لم سميته محمدا قال، أريد أن يكون محمودا في الأرض ومحمودا في السماء. لكنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد، وأحمد الذين يعرفون العربية هي من حمد فهو أحمد أي من أشد الناس حمدا فهو أحمد الحامدين ولذلك فهو أحمد لله، كل الأنبياء يحمدون الله ولكن أحمد أحمدهم. فلذلك كان أحمد وسمي محمد ليتكرر حمده في كل وقت وحين والكثير من الناس استهزؤوا به قديما ويستهزؤون به الآن ولا يستهزؤون إلا بأنفسهم فيكفيك أن ترى في كل وقت النداء يعلو فوق كل المآذن : أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله وفي إقامة الصلاة وفي كل جلسة.... فهو محمود في العالم كله. ثم ميزه الله بعد ذلك بأن أنزل عليه سورة الحمد ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، التي نقرأها في كل صلاة ليست موجودة في كل كتاب من الكتب السماوية، عندما تقرأها تذكر أنك مميز بها، وسيكون يوم القيامة رافعا للواء الحمد، أما أمته فهي ستكون أمة الحامدين، وسوف نبقى إن شاء الله أمة الحامدين حتى وإن كثر الكذابون. فنحن أمة مختارة كما كان رسولنا مختاراً، قال ابن مسعود ﷺ «إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمدا ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، - ليست مسألة عفوية- ثم نظر -وهذه تشرفنا نحن لنشعر بالاعتزاز- في قلوب الناس بعده، فاختار الله له أصحابه، أنصار دينه ووزراء نبيه. فما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا، فهو عند الله قبيح». هذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾(البقرة : 143) وقال ﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس**﴾(آل عمران : 110)، وقال لنا ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا...**﴾(الفتح : 29) وقال لنا أكثر من ذلك، و﴿**الزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها**﴾، اللهم يا رب اجعلنا من المستحقين لها.

تزوج عبد الله آمنة بنت وهب، ومكث معها شهرين فحملت منه فذهب للتجارة فمات، فلم تنفع معه مائة من النوق ولا ألف ولا غير ذلك، مامعنى هذا؟ معناه، أن عبد الله وجد ليؤدي رسالة هي أن يكون أبا لمحمد ثم بعد ذلك يجب أن يغيب لأنه موجود في الكتب القديمة أن النبي الخاتم، من صفاته الكبرى أن يكون يتيما أن يكون أميا أن تكون له علامة ما بين كتفيه خاتم النبوة، وأن يبعث في الأمة الأمية ليكون ذلك معجزة، ولازالت معجزة إلى الآن.

5- إعلاء ذكره في الكتب السماوية السابقة وإلزام الأنبياء الإيمان به:

روى الإمام أحمد بسنده أنه موجود في الكتب السماوية السابقة «يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فض ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا» وقد فتح الله به ذلك ففتحت هذه الأمة الأراضي وفتحت الأعين. وذكر ابن كثير أن الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام في الزبور. «يا داوود إنه سيأتي بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبني أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة، أعطيتهم من النوافل مثلما أعطيت الأنبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، يا داوود إني فضلت محمدا وأمته على الأمم كلها» ألا يحق لهذا النص أن يحفظه أولادنا وأزواجنا ونحفظه جميعا لنحس بالشرف الذي شرفنا به الله، والذين يحسدوننا سوف نأتي إليهم، فقد قال لنا الله أن نقول لهم ﴿**موتوا بغيضكم**﴾(آل عمران : 119). وأخرج كذلك أبو نعيم في الحلية قال : «إن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله على كل خير وشر يكبرون الله على كل شرف ويسبحون الله في كل منزل نداؤهم في جو السماء، لهم دويٌّ في صلاتهم كدوي النحل، يصفون في الصلاة. ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم». نحن مع الله والملائكة معنا وجنود الله معنا، إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلا ليس الملائكة فحسب، واقرؤوا قول الله تعالى ﴿**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾(الأنفال : 12) و﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾. ثم المزية الأخرى أن الله ألزم الأنبياء بالإيمان بمحمد فقال: ﴿**وإذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه**﴾(آل عمران : 81). هذا إلزام، ثم قال لهم الله: ﴿**أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري**﴾ أي عهدي ﴿قالوا أقررنا﴾. قال الله ﴿**فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾(آل عمران : 81) وقال ﴿**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾(ال عمران : 82) (خل المخرفين يخرفوا كما سمعت من عالم يحضر مؤتمرات الحوار والآن لم يعد يحضر فقيل له لم تعد تحضر، قال: إنهم لا يعترفون بنا لأن الآخرين يقولون إن دينهم سماوي ونحن ديننا ليس سماويا وأن قرآننا من عند محمد أنظر إلى تقصيرنا نحن)، وأخبرنا الله تعالى عن واحد من أنبياء بني إسرائيل، الذين وفوا بهذا العهد وبهذا الميثاق، كما وفى به جميع الأنبياء وهو عيسى بن مريم، ﴿**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾(الصف : 6). وهذه تسمى وفاء بما ألزمه الله به، فهو يقول ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.

هذا عن الإعداد القبلي وترقبوا في العدد المقبل إن شاء الله تعالى الإعداد البعدي.

إشراقة

مالا يغفر للشهيد

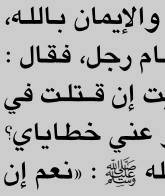

ذ. عبد الحميد صادوق

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن»(رواه مسلم)، وفي رواية له : «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَّيْن». قال النووي رحمه الله : فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى.

قال الأُبي رحمه الله تعالى : وهذا إذا امتنع من أداء الدَّيْن لَدَداً، أما إذا لم يكن لدد وإنما امتنع من أدائه لعسره فإن الله سبحانه يقضي عنه خصومه.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله، أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتُكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر، محتسب مقبل غير مدبر» قال العلماء : هذه شرائط في تكفير الذنب، ومعنى محتسباً مخلصاً لله تعالى فلو قاتل لغنيمة أو عصبية فلا شيء له «ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت؟» قال : أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»(رواه مسلم).

قال القرطبي رحمه الله تعالى : هذا بحُكْمِ عمومه يشمل جميع الخطايا، ما كان من حقوق الله تعالى والآدميين، لكن الاستثناء الوارد بعد هذا يبين أن هذا الخبر ليس على عمومه، وإنما يتناول حقوق الله تعالى خاصة لقوله ﷺ : «إلا الدين» وذكره الدين تنبيه على ما في معناه من تعلق حقوق الغير بالذمم، كالغصب، وقتل العمْد، وغير ذلك من التبعات(1).

قوله : «إن جبريل ﷺ قال لي ذلك» أي لعله أخبره به تلك اللحظة ولم يكن يعلمه من قبل والله أعلم.

1- المفهم ج 3، 713.

التوريث الدعوي

الحلقة الثالثة

أنواع من التوريث ينبغي الاعتناء بها

2- كتب الذكريات أو المذكرات

د. محمد موسى الشريف

من المصادر الثرية بالتجارب التي تستحق الاعتناء بالتوريث وتوقيف الأجيال عليها كتب الذكريات أو المذكرات، وذلك لأن أصحابها سطروا فيها عصارة تجربتهم وخلاصة حياتهم، بعد أن خبروا الحياة وخبرتهم، وعاركوها وعركتهم، وواجهوا مواقف كثيرة خرجوا منها بنجاح أو فشل، وبلوا الناس وعرفوهم، فجاءت تلك الكتب على ما يشتهي القارئ ويحب غالبا(1).

والمذكرات في كل المجتمعات والبيئات ثروة طائلة يعتنى بها وتبرز وتدرس، بل إنها تكون محط أنظار الباحثين الاجتماعيين والناظرين المتدبرين في أحوال وسنن الحياة، والمؤرخين الذين يربطون بتأريخهم الماضي بالحاضر والذاهب بالآتي، وبعض عظماء الرجال والنساء في الغرب يراودون لكتابة مذكراتهم بالملايين الطائلة، وما ذلك إلا لمعرفة دور النشر بالأهمية البالغة التي تمثلها هذه المذكرات، وإقبال الناس عليها إقبالا منقطع النظير.

هذا وإنه **في ديارنا العربية قصور كبير في التعامل مع المذكرات كتابة وقراءة، أما القراءة فانصراف أكثر الناس عن قراءة كل نافع مفيد في المجالات الأدبية والاجتماعية والتاريخية والدعوية وغيرها، وأما كتابة الذكريات والمذكرات فإن أكثر العظماء عندنا - وما أكثرهم مقارنة بغيرنا من الأمم والشعوب منصرفون عن هذه الكتابة لسبب أو لآخر، فيموت الواحد منهم عندما يموت وقد خلف حسرة في النفوس من ضياع تجارب كثيرة تناقلتها الألسن والأذهان ثم أصبحت في طي النسيان كلها أو أكثرها، نعم إن بعض العظماء لا يتمكن من كتابة مذكراته لأنه غير آمن أن يؤاخذ بسببها، لكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، ويمكن لكاتب الذكريات أن يكتب قدرا كبيرا من تجاربه من غير حرج ولا قلق(2).**

والذي ينبغي على كل من يظن أن عنده تجارب تستحق الكتابة والنظر فيها ألا يتردد في كتابتها ولا يحقرنها فتذهب أدراج الرياح، وما أحسن ما قاله الأديب الدكتور إحسان عباس(3) عندما قال :

"فاتحني عدد غير قليل من الأصدقاء في أن كتب سيرتي الذاتية، فأخذ اقتراحهم يمثل هاجسا يدور في نفسي ويستثير ذاكرتي، ولذا توجهت إلى أخي بكر عباس أسأله رأيه في الأمر، فكان جوابه المباشر أن قال : لا أنصحك بذلك، لأن حياتك تخلو أو تكاد من أحداث بارزة تثير اهتمام القارئ وتطلعاته، كان ما قاله أخي وصديقي بكر صحيحا، فأنا أعرف أنني لم أشارك في أحداث سياسية، ولم أتول مناصب إدارية، ولم أكن عضوا في حزب، ولم أكن مسؤولا عن مشروعات اقتصادية، إلى آخر ما هنالك من نشاطات تعرض الفرد للمسؤوليات الاجتماعية والوظيفية، وعلى الرغم من ذلك كله وجدتني أميل إلى كتابة سيرتي - ومنهجي فيها التزام الصدق فيما أسرده - لا لأن ما أكتبه تاريخ مهم، بل لأنه يمثل تجربة إنسان حاول في كل خطواته أن يخلص للعلم بصدق ومحبة..."(4).

هذا وهناك بعض من الناس لا ترقى ذكرياتهم إلى أن تنشر على الناس لخصوصيتها المطلقة أو لضعفها النسبي أو لغير ذلك، فمثل هؤلاء يصح لهم أن يكتبوا ذكرياتهم لأنفسهم أو لأولادهم وأحفادهم، قال الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - في ذكرياته :

"أوصي كل قارئ لهذه الفصول أن يتخذ له دفترا يدون فيه كل عشية ما رأى في يومه، لا أن يكتب ماذا طبخ وما ذا أكل، ولا كم ربح وكم أنفق، فما أريد قائمة مطعم ولا حساب مصرف، بل أريد أن يسجل ما خطر على باله من أفكار وما اعتلج في نفسه من عواطف، وأثر ما رأى أو سمع في نفسه، لا ليطبعها وينشرها فما كل الناس من أهل الأدب والكتابة والنشر ولكن ليجد فيها يوما نفسه التي فقدها"(5).

لكن قد تساوي ذكريات بعض الدعاة ممن ليست له دربة أدبية ولا لغة راقية ذكريات جماعة كبيرة من الأدباء من حيث قيمتها وأهميتها، فيمكن للأخ الداعية أن يسطرها للنشر بلغة مقبولة على الأقل مرتفعة عن الخطاب السوقي العامي، وسيعوض غزارة ما فيها من ذكريات مهمة النقص في الأسلوب أو الركاكة في بعض الجمل، والله أعلم(6).

والذي ينبغي على كل من انصرفت همته لكتابة ذكرياته ونشرها الآتي :

1- التعجيل بكتابتها قبل الهرم والشيخوخة، فإن المرء الهرم يملُّ ويكلُّ، وينسى كثيرا من الأمور المهمة التي مرت عليه في حياته، وقد تسقط من ذكرياته للأبد، فالقيد هنا بالتبكير بالكتابة مهم، وما أصدق ما قاله الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - عندما كتب ذكرياته في حال شيخوخته :

"لم أجد عندي شيئا مكتوبا أرجع عند تدوين الذكريات إليه وأعتمد عليه، وما استودعت الذاكرة ضعفت الذاكرة عن حفظه، وعجزت عن تذكره، لذلك أجلت وما طلت، وحاولت الهرب من غير إبداء السبب"(7).

وقال أيضا : "وليس لدي أوراق مكتوبة أدون فيها الحادثة عند حدوثها وأصف أثرها في نفسي، وهذا تفريط كان مني لم يعد إلى تداركه من سبيل(8).

وقال أيضا : "كنت أغرف من بحر وأنا اليوم أنحت في الصخر، كان الفكر شابا فشاخ.. كان قلمي يجري على القرطاس كفرس السباق لا أستطيع أن أجاريه فأمسى كالحصان العجوز أجره فلا يكاد يجر، كانت المعاني حاضرة والقلم مستعدا..."(9).

وقال الأستاذ إحسان عباس :

"إن كان هناك من عيب في الإقدام على كتابة مثل هذه السيرة فذلك هو أنها تأخرت في الزمن، وكان من الحق أن أكتبها قبل حلول الشيخوخة وامتلاء النفس بألوان من المرارة والخيبة"(10).

وهناك علاج ناجح لتذكر عدد من الوقائع التي أصبحت طي النسيان ألا وهو أن يجتمع مدون ذكرياته بمجموعة تذكره ما نسيه، وتطرح عليه أسئلة مناسبة لتجعله يتذكر ما أغفله وأهمله، فتسأله عن أشخاص محددين أو قضايا محددة، وهذا مفيد مجرب.

هناك علاج ناجح لتذكر عدد من الوقائع التي أصبحت طي النسيان ألا وهو أن يجتمع مدون ذكرياته بمجموعة تذكره ما نسيه، وتطرح عليه أسئلة مناسبة لتجعله يتذكر ما أغفله وأهمله، فتسأله عن أشخاص محددين أو قضايا محددة، وهذا مفيد مجرب.

2- تسطير الوقائع كما وقعت مع التعليق عليها بم هو مناسب للمقام حتى تكتمل الفائدة المرجوة من إيرادها، فإن بعض الوقائع لا يكاد القارئ يفقه المراد من تسطيرها أو يجهل سبب وقوعها، أو لا يدرك خلفيات الأحداث ومجرياتها، لذلك لا بد من كتابة الوقائع مع التعليق المناسب، واستخلاص العبر والعظات مما جرى فإن ذكريات الدعاة ليست كغيرها من الذكريات.

3- التدرج في كتابة الذكريات :

إذ أن أكثر ما يصد الناس عن كتابة ذكرياتهم ضخامة ما فيها من معلومات وتفاصيل، فإذا نظر إلى شريط حياته وتدبره فإنه سيوقن بعظم ما هو مقبل عليه، ومثل هذا قد ينصرف كليا عن كتابة أي شيء، خاصة إن كان في زمان الشيخوخة أو حولها، وبعضهم قد يكتفي بكتابة شيء يسير يضيع على الناس معه كنوز عظيمة، فعلاج مثل هذا أن يشجع على الكتابة ولو نصف ساعة كل يوم، أو أن يجمع له بعض الطلبة النابهين يسجلون له ما يقول في جلسات متعددة طويلة، ويحفزون ذاكرته بما يلقونه عليه من أسئلة، وهذا مجرَّب نافع لا شك، وكم من ممتنع عن كتابة ذكرياته سَلُس قياده بمثل هذه الأفكار، وليُعلم أن هؤلاء كنز للأجيال اللاحقة، فليحرص عليهم وليُتخير منهم من عظمت قيمة ذكرياته بعظيم ما ورد فيها من أحداث.

4- كتابتها بالأسلوب الأدبي المناسب، فإن بعض الأشخاص المتعرضين لكتابة الذكريات لا يرقى أسلوبهم إلى أن يكون جذابا مشوقا، وقد ينصرف القارئ تماما عن الكتاب بسبب هذا، لذلك ينبغي الاعتناء بطريقة الكتابة اعتناء مناسبا، وحبذا لو سُوعد من كان لا يستطيع تسطير ذكرياته على وجه مناسب بشخص يصوغ له الأحداث بأسلوب جيد مناسب.

5- عدم إيراد ما يؤذي الآخرين، فإن الأحداث ليست ملكا لصاحب الذكريات فقط بل هي له ولغيره، فلا يورد شيئا يرى أنه يضر الآخرين بوجه أو بآخر، وإن فعل فليغفل الأسماء، وليبتعد بالسياق عما يمكن أن يعرف منه أسماء الأشخاص مما يجر إليهم الأذى أو الحرج، فإن ذلك لا يجوز، وهو من خوارم المروءة.

6- عدم الاستطراد إلا بقدر، والإيجاز في إيراد الأحداث، فإن أهل هذا العصر لا يحتملون التطويل ولا يقبلون على القراءة إقبال القدامى عليها، فالإطناب يحرم القراء من الثروات التي في الذكريات، كما أن الإيجاز يرغبهم في قراءة الذكريات والإقبال عليها.

7- وينبغي أن يُعلم أنه بقدر ما تسطر في الذكريات من مهمات الوقائع سيكون الإقبال عليها والاستفادة منها، فليحرص كل كاتب لذكرياته أن يجتهد في كتابة ما ينفع العامة، لا أن يجعلها ميدانا للحديث عن نفسه والفخر بما صنع، ولا بأس في الحديث عن نفسه بقدر لكن لا يجعلها كأنها كانت محورا للأحداث، والصانعة لها، فإن الحديث عن النفس ثقيل، فليخفف منه كل من كتب ذكرياته ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والله أعلم(11).

1- إنما مرادي من كتب الذكريات ما كان منها لعظماء علماء ودعاة الإسلام، أما غيرهم ممن تخبط طويلا وضل وأضل كثيرا فيتخير منها بحذر ودقة ما كان نافعا ويُنبذ ما سوى ذلك، والله أعلم.

2- أنظر المبحث الثالث، العقبة الثالثة، ففيها شيء من التفصيل.

3- أحد المحققين الكبار للتراث، وهو مشهور في الأوساط الأدبية، معاصر، باق.

4- "غربة الراعي" : 5-6

5- "ذكريات" : 9

6- أنظر رقم 4 الآتي.

7- "ذكريات" : 1/5.

8- المصدر السابق : 1/9.

9- المصدر السابق : 1/16.

10- "غربة الراعي" : 7

11- ومن كتب المذكرات المهمة المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى كتاب "مذكرات الدعوة والداعية" للإمام حسن البنا، وكتاب "من سجل ذكرياتي" للشيخ محمود الصواف، وأجزاء من كلام الشيخ علي الطنطاوي في "ذكرياتي"، وبعض أجزاء من كلام الشيخ الندوي في كتابه "في مسيرة الحياة" وكتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" له ايضا، وكتاب "ذكريات لا مذكرات" للأستاذ عمر التلمساني، وغير ذلك من الكتب.

هذا الملف

من أين نبدأ في إصلاح نظامنا التربوي والتعليمي؟

نظام التربية والتعليم في أي مجتمع هو سيف ذو حدين.٤ فقد يكون مفتاحا لكل خير كما يكون مدخلا لكل شر، ويكفي ليكون مدخلا للشر، أن يُهمل فلا يُعنى به، أو يُدخَل فيه ما ليس منه مما يصادم مقومات الأمة وثوابتها ويهدمها. وكل من الإهمال أو إدخال المناقض يكون سببا كافيا في التعجيل بفناء الأمة وذوبانها، وهما مصيران منهي عنهما شرعا وغير مقبولين عقلا؛ للنهي عن مقدماتهما. كما يكفي ليكون مفتاحا لكل خير أن يصان من جهتين : من جهة ما يقيمه ويثبت دعائم الهوية ومقومات الأمة، ومن جهة ما يدفع عنه ما يضاده ويصادمه ويهدمه.

لذلك فالأمة المسلمة مأمورة -لكي تبقى أمة مسلمة قائدة رائدة وشاهدة، أمة ناسخة وراسخة- بأن تعنى بنظامها التعليمي عناية تجمع ثلاث عمليات : عملية الإقامة وعملية الاستقامة وعملية التقويم :

فالإقامة تعني إقامة نظام حياتها عامة ونظامها التعليمي على قواعد الشرع الإسلامي وأسسه.

والاستقامة : أن تكون الاجتهادات والإجراءات المنصبة على تجديده وتنزيله مستقيمة على نهج الله وهداه.

والتقويم يعني استصلاح الدخيل والوافد وتهذيبه حتى لا يكون مناقضا وهادما بل يكون لأصول الدين في التعليم والتربية بانيا وداعما ولمقاصدها خادما.

وهاهنا مكمن الداء وأصل الوباء؛ إذ لما عطلت الأمة وظيفتها في إقامة نظامها التربوي واستقامته وتقويمه، صار هذا التعليم بوابة واسعة لدخول الشوائب والغرائب، ومعبرا تمر منه جحافل الغزو الفكري والمحو الحضاري و صار محضنا لاستنبات الأفكار الغربية الهجينة واللقيطة والأخلاق الساقطة وتربية ناشئة المسلمين عليها؛ فصار نظامنا التعليمي معضلة المعضلات وعنه تسربت كل مظاهر الخلل في التصور والسلوك، ومنه سرى الفساد والفشل إلى كل القطاعات الحيوية في جسم الأمة (سياسة وقضاء واقتصادا واجتماعا وأسرة وبيئة ...)، فظهرت على الأمة بسبب ذلك كل مظاهر الضعف والوهن ، وأحاطت بها ظلمات الفتن والمحن، وتكالب عليها شرار الدول والأمم، حتى أفلت من يدها زمام هذا النظام أو كاد.

ولئن كان النظام التربوي والتعليمي في مجمله عُد بمثابة ناقلة كبرى للأفكار والقيم فإن مواده وشعبه عدت حاويات كبرى لنقل هذه المعارف والقيم ، كما أن مواده تفاوتت في قابليتها لحمل هذه القيم ونقلها، وعدت مواد اللغات وآدابها ومواد الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والفنية أول هذه المواد وأكثرها أهمية ولذلك تم التركيز على هذه المواد من جهتين: جهة إفراغها من القيم الإسلامية ، ومن جهة شحنها بقيم الفكر الغربي إلى حد التخمة والتضخم والتكلف.

ولم تسلم العلوم الشرعية ومادة التربية الإسلامية من هاتين العمليتين حتى وجدنا التعليم الشرعي ومادة التربية الإسلامية كادت أن تصبح مجرد رسوم ومواد جامدة لا أثر لها في التهذيب والتكوين بله تخريج الجيل الراسخ الناسخ!! وما ذلك إلا أن مقص والبتر والتعديل لحق أعضاءها الحيوية الفاعلة حتى كادت أن تخرج على مقاس الرؤية الغربية للدين وعلومه ووظيفته!!

والمحجة إذ تفتح جزءا من الحديث عن بعض صور ونماذج تضخم الثقافة الغربية في توجهها الحداثي في منظومتنا التربوية والتعليمية على حساب القيم الإسلامية ومقومات هويتنا الحضارية تقصد إلى التنبيه على أن الاختلالات الكبرى في هذه المنظومة لا ترجع أساسا إلى الأسباب المادية (تجهيزات، وتدابير إدارية) كما يروج لذلك، بقدر ما ترجع إلى اختلالات في التصور العام لنظام التربية والتكوين وفي توجهاته الكبرى من قضايا الألوهية والوجود والحياة والإنسان والمصير، وفي مناهجه في بناء الإنسان وتدبير شؤون الأسرة والمجتمع والدولة والأمة والناس جميعا، ليتبين بعد ذلك أن الاختلالات المادية والإدارية والسلوكية ما هي إلا نتيجة ومظهر لداء أعمق هو داء اختلال البناء العام لمنهاج التربية والتعليم من خلال إهمال التصور الإسلامي وقيمه وإبعاده في مقابل تضخيم حضور الفكر الغربي وقيم الحداثة الغربية في مواقفها المخالفة لأصول الدين والمُصادمة لهوية الأمة ومقوماتها. فمن أين يبدأ الطبيب في علاجه للمَريض : هل من أعراض المرض أم من أصله ومصدره؟

نأمل أن يجد القارئ في مقالات هذا الملف بعض ما يكشف عن عمق الأزمة الكامنة في إبعاد التصور الإسلامي وتقزيم حضوره والتمكين لقيم الحداثة الغربية ومخاطر ذلك على ناشئتنا ومستقبل الأمة وهويتها.

د. الطيب الوزاني

مناهجنا التربوية في معترك القيم

ذ. عبد المجيد بالبصير

إن الحضارة العولمية الحديثة، باتجاهها التشييئي للكون والإنسان والحياة، أثرت بشكل سلبي كبير على منظومة القيم، إلى حد أنها شاقت غالب ما يرفع من مستوى آدمية الإنسان ذات الصبغة التربوية المبنية على العلم بالله، وتجلى ذلك -أكثر ما تجلى- في ثلاثة أنواع من البرامج والمناهج:

1- برامج الإعلام: إذ رغم تعددها وتنوعها لم تحد غالبا عن فجورها وبجورها، ولم تفلح إلا في صناعة الشخصية الفسيفسائية التي لايميزها هوية حضارية محددة، ولاكيان ثقافي خاص، وفق نسق قيمي ثابت، ذلك أن البعد البراجماتي المنفعي ناهيك عن استراتيجيات الفجور السياسي والاجتماعي، حملها في الغالب على كسر الحواجز الأخلاقية المسماة عندها بالطابوهات، ومن ثم تدمير نفسية العمران وفق قيم القرآن.

2- مناهج التعليم: إذ الطابع العلماني لمناهج التعليم في الحضارة الحديثة قلب نظام التعلم رأسا على عقب، بحيث أعطى حكم الأصل للمعارف المادية، وحكم التبع للمعارف الإنسانية فالشرعية، فشاق بذلك قصد التكريم الذي يجعل المادة خادمة للإنسان لاهو خادما لها "هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا" وبهذا سعى إلى تدمير عقلية العمران وفق قيم القرآن.

3- برامج البحث: إذ رغم ما فيها من منافع للناس، إلا أن إثمها أكبر من نفعها، لأجل ما تحمل في طياتها من هدم لمقومات وجود الإنسان، وتهديد لاستمرار سلامته وسعادته، كما في ظاهرة الاحتباس الحراري جراء الأبحاث الصناعية ، وظاهرة الإشعاعات النووية عقب الحروب وعند التجارب، وما ينجم عن ذلك كله من إهلاك للحرث والنسل، وربما سعت هذه البرامج إلى طمس القيمة الفطرية لقانون الخليقة المودع في أصل خلقة الإنسان حفظا لكرامته بطريق التناسل الطبيعي عبر الزواج الشرعي، وذلك كما في ثنايا مباحث الاستنساخ.

من أجل ذلك دق الغيورون من مربينا، كما دق أولو بقية من أهل الغرب، ممن ينهون عن الفساد في الأرض، ناقوس الخطر، بصيحات تعالت هنا وهناك، تواطأت في المحصلة على حقيقة واحدة مؤداها موت الغرب، وموت من يلهث خلف الغرب فيما سمي بعصر ما بعد الحداثة.

معالم في طريق الخلاص

إن الاندماج في المدنية الحديثة لا يعني بحال الانسلاخ عن القيم الثقافية للذات، إذ الأصل في الاندماج الحضاري أن يكون من غير ذوبان قيمي، بمعنى أن الانتفاع من نتاج الآخر المادي والمعنوي ينبغي أن يخضع للنسق الأخلاقي التربوي، حفظا للعمران وأمنا للإنسان، وهو من قبيل خضوع الوسائل لمقاصدها، ومن ثم وجب النظر في المآلات قَبْل الشروع في توظيف الاقتباسات، كيما تخرج عن سننها الفطري ومقصدها العبادي، إذ الغرض الرفع من مستوى الآدمية بما صلح من وسائل الحضارة الحديثة ومنجزاتها، لا الإخلاد به إلى الأرض بما فسد من مناهجها ومباهجها.

وعموما فلعل ثمة قضيتين كبريين هما من أهم خطوات التفكير المنهجي الإسلامي لتجاوز الأزمة التربوية المعاصرة، ويندرج تحت الثانية منهما جملة مطالب:

1- التفكير المنهجي في تلقي جمالية الدين: ذلك أن حقيقة العمران من منظور القرآن تنبني أساسا على فهم القرآن طبيعة ووظيفة، فإذا كان القرآن الكريم محض هدى "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" وكان

تتمة : ص 14

الوحي نسق قيمي للعمران العبادي

إنما كان الوحي هو الهدى المنهاجي لأجل ما ينبني حقيقة على كلياته المعصومة وسننه الاجتماعية المحسومة من النسق القواعدي القيمي، الذي يستطيع بموجبه الإنسان على مر الزمان، أداء أمانة التكليف وشكر نعمة التشريف على هدى من الله.

ومن هنا كان تلقي الهدى المنهاجي أساس الاستخلاف الرباني، كما يستفاد ابتداء من قصة بدء الخليقة، إذ زود سبحانه الإنسان بثلاث ملكات عليا، جسدت بالتبع في أصل خلقته ثلاث قابليات، يستطيع بموجبها عمران الأرض وحفظ صلاحها وهي:

1- ملكة العقل : وتجسد قابليته للتعلم بتحليل ما يلتقطه الحس من صور الجزئيات وترتيبها وتركيبها، وهو مقتضى قوله سبحانه ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.

2- ملكة اللغة : وتجسد قابليته للتعليم بالتعبير عما في الضمير بإحداث الموضوعات اللغوية بقوة النطق(1) وهو مقتضى قوله سبحانه "ألما أنبأهم بأسمائهم".

3- ملكة التدين : وتجسد قابليته لتلقي التعاليم الربانية وقدرته على الامتثال لمفاداتها أمرا ونهيا، وهو مقتضى قوله سبحانه ﴿فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ وقوله جل وعلا ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾.

ولعل هذا الأصل الابتدائي العظيم هو المتضمن في أول ما نزل على سيدنا محمد ﷺ من الآي الخمس الأولى من سورة العلق، بل هو المركوز في مستهلها ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، ذلك أن القراءة بالمعنى التدبري للآيات، والتفكري في الموجودات، متى استعانت باسم الله، وصاحبت الفهم والملاحظة لجلال الله، اهتدت إلى تعلم ما ينفع الإنسان من حقائق شقه الطيني، وأسرار شقه الروحي بإذن الله؛ فهي بهذا المعنى وقود العمران العبادي في كل آن، ولذا كان التركيز في الأمر بالقراءة على الفعل دون مفعوله، إذ المراد أن يصير العبد قارئا باسم الله في كل أحوال صلته بآلاء الله، فحذف المفعول من مقتضيات العموم كما هو معلوم عند أهل البلاغة والأصول.

بين الرشاد والتيه

ولما كان الأمر على هذا النحو في عهد خير القرون، كانت مناهج التربية والتعليم مستجيبة بشكل متوازن للحاجات الجوهرية في الإنسان، بحيث غذت عقله بأرقى مراتب العلم أي العلم بالله والعلم بأمر الله، وروت قلبه بأحلى كؤوس الحب أي حب الله وحب ما يرضي الله، وهدت جسمه إلى تطلب أنفع الطعام والشراب أي ما كان منهما حلالا طيبا مما شرع الله... حتى إذا اختل بين الفينة والأخرى النظام، واضطرب الميزان، عولج الاختلال بمواعظ الحكم وحكم المواعظ، على نحو قوله عليه السلام «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(2) وكذا قول سلمان لأبي الدرداء «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه»(3)...**فحدث بهذا الاتزان في المنهاج التربوي التفوق العبادي المطلوب، بحيث كانت صلة أجيال الخيرية بالله "طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية مفضية إلى سعادة أبدية".**

لكن خسران الميزان فيما بعد بدأ تطفيفا في التلقي لآيات الذكر الحكيم، وانفتاحا على ترجمات الغرب القديم، فصارت القراءة باسم الله مشوبة بالقراءة باسم عبيد الله، في كنف مناهج قاصرة، ومفاهيم حائرة، لايمسك فيها علم بعمل ولا خلق بعقيدة... وهكذا إلى أن رجحت كفة اقتراض المنهاج التربوي من الغرب الحديث، وهو يعلن طاغيا استغناءه عن الله، وتمرده على الغيبيات بإطلاق، وذلك بعدما فشا في الأمة التقليد والأوهام، وطفا على سطحها التطرف والفصام، واستسلمت شخصيتها المنهجية والقيمية إلى الركود والذوبان بدعوى الاندماج، فشطت عما أنيط بها من أداء مهمة الشهود الحضاري على الناس، وتصحيح مسار التاريخ والجغرافيا من الأساس.

مظاهر التدمير الكبرى لمناهجنا التربوية

الاختلاط: فيروس حداثي يعربد في منظومة التربية والتعليم

إهداء: إلى روح المربي الكبير والداعية الرسالي: الأستاذ المفضل فلواتي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، آمين، وإلى من هم على دربه سائرون.

د. عبد المجيد بنمسعود

مقدمة بين يدي الموضوع

المفروض في نظام تعليمي يحترم نفسه بمراعاته لخصوصية المجتمع أو الأمة التي يشتغل فيها ولأجلها، أن يكون أمينا لشرط التكامل والانسجام الذي ينبغي، على وجه الحتم والوجوب، أن يتحقق بين مختلف أركانه ومقوماته: فلسفة موجهة وحاكمة لمسار النظام، وبرامج ومناهج تستبطن القيم المنشود استنباتها وتنميتها في الناشئين، على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، وتنظيما إداريا وبيئة مدرسية، تشكل محضنا طيبا وغلافا سليما، يشد من أزر الجهد التعليمي التربوي المبذول، من أجل بلوغ المرامي والأهداف.

وفي حالة الإخلال بالشرط المذكور، جزئيا أو كليا، فإن خسائر فادحة تلحق لا محالة بمجموع النظام، يتناسب حجمها مع حجم المساحة التي ينالها الإخلال.

ولئن كانت منظومة التربية والتعليم أو التربية والتكوين، في المجتمع المغربي تشكو من علل واختلالات مزمنة، ظلت تفرزها بوتيرة مستفحلة، على مدى خمسة عقود من الزمن، وتنوء بثقل أزمة خانقة تلاحقها كالكابوس، وتجعل حركتها أشبه بحركة سيزيف في الأسطورة اليونانية الشهيرة، لا في جانب الصعود، ولكن في جانب الانهيار والسقوط، فإن من أبرز العلل أو الفيروسات التي باتت تنخر عظامها وتمتص قواها وتلوث دماءها، فيروس الاختلاط بين الجنسين في مختلف المراحل الدراسية، الذي أضحى يشكل ثابتا يتميز بميزة العلو على المراجعة والمساءلة.

ولا تكاد تسمع أو يلقى لها بال، تلك الأصوات المبحوحة المنادية بضرورة تسجيل وقفة جادة من هذا الوباء المستشري في منظومة مأزومة، وكأن الحديث عن الاختلاط في المدرسة المغربية على وجه الاستنكار، أصبح في حكم الطابوهات التي ينظر إلى من سولت له نفسه الاقتراب من حماها، باعتباره نغمة نشازا تسيء إلى معزوفة الحداثة والعصرنة، أو طائرا يغرد خارج السرب. وعلى الرغم من هذا الواقع البائس، لابد أن أرفع عقيرتي صارخا أشد ما يكون الصراخ، ضدا على المعزوفة الشائهة، وعلى السرب التائه الذي لا يصدر عنه إلا ما يشبه النعيق.

فأقول بلهجة اليقين: إن الاختلاط داء عضال، ووباء يجتاح منظومتنا التعليمية التربوية، فيذرها قاعا صفصفا، أو هيكلا مسموما يدعو إلى الأسى والإشفاق.

سأتناول بإذن الله في الورقة التالية الآثار المدمرة التي يخلفها الاختلاط بين الجنسين، باعتباره وجها صارخا من أوجه الحداثة العاتية، على المنظومة التعليمية المغربية، في شقيها التعليمي والتربوي.

وقبل ذلك لا بد من تحديد مفاهيم الموضوع:

أولا: تحديد المفاهيم

1- الاختلاط: جاء في المعجم الوسيط: " خلط الشيء خلطا : ضمه إليه، وخالطه مخالطة وخلاطا: مازجه. وخلط- بتشديد اللام- خلط في أمره: أفسد فيه، واختلط عقله: فسد(1).

والاختلاط في الاصطلاح الشرعي "هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست له بمحرم، اجتماعا يؤدي إلى ريبة"(2) ويمكن تعديل هذا التعريف لينسجم مع طبيعة الموضوع الذي نحن بصدده، فيصبح كالتالي: الاختلاط بين الجنسين في المؤسسات التعليمية، "هو تواجد الذكور والإناث، أو التلاميذ والتلميذات، في حرم المؤسسات التعليمية، في أوضاع يأباها الشرع، لتنافيها مع مقتضيات الحياء، ويترجح معها احتمال الوقوع في المحظور، المتمثل في رفع الكلفة المفضي إلى الانحلال والفساد".

2- الحداثة: يقول جان بدريار: "ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا، ولا مفهوما سياسيا، وليست بالتمام مفهوما تاريخيا، بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات السابقة عليه أو التقليدية"(3).

وإذا نحن تعقبنا ما كتب حول "الحداثة" سواء في موطنها الأصلي، أي في الغرب، أو من قبل من استنسخوها وتمسحوا بمسوحها في الوطن العربي، ألفيناها تحوم حول جوهر واحد يتمثل في نزعة وضعية منكرة للدين من حيث هو مصدر غيبي متعال، وفي رؤية تتوخى الشمول من منطلق تلك النزعة، كما أن تلك الكتابات تجمع في تصورها للحداثة على خصائص مشتركة، يتصدرها النزوع العارم للهدم والنقض والإلغاء، لكل ما من شأنه أن يكتسي صفة الثبات، إلا أن يكون الثبات صفة لذلك النزوع، وهذا ما يشي به تعريف بودريار السالف الذكر.

ومما يبرز لنا بعضا مما يعكس تلك الخصائص الممثلة لحقيقة الحداثة، ما اورده الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه الموسوم بـ"روح الحداثة" حيث يقول: "المبادئ التي قامت عليها الحداثة الغربية... هي الاشتغال بالإنسان وترك الاشتغال بالله، والتوسل بالعقل وترك التوسل بالوحي والتعلق بالدنيا وترك التعلق بالآخرة"(4).

وممن كشفوا عن حقيقة "الحداثة" بشكل عميق وحاسم من باب التشريح الدقيق لأبعادها، الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله ، والذي ذهب إلى حد إبطال بعض دعاوى أصحاب الحداثة فيما يتعلق ببعض النعوت التي يفاخرون بها، وهم يعرضون بضاعتهم في سوق المذاهب ومعترك الأفكار، فهو: يرى أن "الحداثة ليست مجرد استخدام للعقل والعلم والتكنولوجيا، بل هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة Value-free لذلك تحولت هذه الحداثة إلى حداثة داروينية لانفصالها عن القيمة الإنسانية وأصبحت مضادة للإنسان وليست متمركزة حوله كما تعرفها المعاجم وتحول مركز هذه الحداثة إلى الغرب فأصبحت حداثة متمركزة حول الغرب لا حول الإنسان، وتحول العالم إلى مادة استعمالية للاستغلال"(5).

3-التربية والتعليم: أكتفي في تعريف هذين المصطلحين اللذين تمتلئ بهما كتب الفكر التربوي في مختلف الأوطان والعصور، بما يخدم تسليط الضوء على جوانب القضية التي نسعى إلى تجليتها وبيان أبعادها، فأقول بأن مدار التعليم على تحصيل المعارف والعلوم، ومدار التربية على التزكية والتشكيل، ويجري الفعل هنا وهناك، وفق رؤية معينة تختلف باختلاف الأمم والشعوب وعلماء التربية ، لا يختلفون في أن ذلك الفعل، يلزم فيه احترام الخصوصية ، كحد أدنى لنيل المصداقية، أما العلماء الراسخون في العلم في المجال، فيشترطون ربط الخصوصية بالفطرة، كمعيار لبلوغ الأهداف العليا المتمحورة حول احترام خصوصية الإنسان، باعتباره كائنا مكرما من قبل خالق الكون والإنسان، الذي يرجع إليه الأمر كله.

والتربية والتعليم وفق التصور المذكور مما تتميز به الأمة المسلمة التي يقوم منظورها على أساس حمل رسالة الشهود على الناس، والتي ينبغي أن ينال كل منها نصيبه، فردا أو جماعة، بحسب الوسع والقابلية، فكل ميسر لما خلق له. ويكفي في هذا المقام، أن أذكر قوله تعالى:" هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"(6)، فعملية التربية والتعليم ثلاثية الأبعاد وفق هذا المنظور، ولن يتحقق المقصود إلا باجتماعها وتضافرها.

4- شروط عملية التربية والتعليم:

أشرت في مقدمة هذا المقال إلى أن مطلب الانسجام بين عناصر المنظومة وأركانها، أمر جوهري يكتسي طابع الضرورة الوجودية ، إذا أريد لها الإفضاء بمخرجاتها ومنتوجها على وجه مشرف وقريب من الكمال، وتعتبر بيئة القسم بشكل خاص، وبيئة المؤسسة بشكل عام، من العناصر الأساسية التي تتحكم بقسط هام في نوعية تلك المخرجات.

وإنه من الأكيد، أن تركيبة المتعلمين الذين تستهدف المنظومة تعليمهم وتربيتهم، تشكل عاملا ضمن تلك البيئة، أي أن كون تلك التركيبة من الذكور، أو من الإناث، أو كونها تركيبة تجمع بين هؤلاء وأولئك، يؤثر حتما على مسار التربية والتعليم جملة وتفصيلا.

وإني لأزعم بكل يقين، أن اختلاط الذكور بالإناث في المؤسسات التعليمية، يؤدي إلى مفسدة كبرى تنال من التربية والتعليم على حد سواء.

ولن أحتاج إلى كبير جهد للبرهنة على مصداقية هذا الزعم، لأن بعض معالم تلك المصداقية ظاهرة لكل ذي عينين، لأن الواقع البائس ينطق بها بشكل صارخ مبين. وسأعرض لبعض تلك المعالم والآثار، وقبل ذلك، لا بد أن أتساءل عن هوية منظومة التربية والتكوين المغربية، وطبيعة موقفها من "الحداثة"

5- موقف المنظومة التعليمية من "الحداثة": إنه موقف واضح أعلن عنه واضعو "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" ضمن الغايات المنشودة لديه: "ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة"، فالحداثة ليست كلمة عابرة في السياق الذي وردت فيه، وإنما هي كلمة مقصودة بحجمها ومدلولها الصارخ، ومفردات ذلك السياق كلها تؤكد ذلك بما لا يدع مجالا لتعدد الاحتمالات في فهم ذلك المدلول، ويكفي في إدراك هذا الأمر، ملاحظة ورود كلمة "الحداثة" مقترنة بكلمة "المعاصرة" على سبيل المغايرة لا الترادف.

ومن أبرز ما يؤكد تلك المغايرة والتميز، أنها جاءت بعد ذكر القيم التي ذكرت كمرتكزات في الميثاق ذي الأربعة رؤوس(7)، والتي منها:" قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية" التي اعتبرت شريكا أساسيا ل "قيم العقيدة الإسلامية" في الاضطلاع بمهمة القيادة والتوجيه لشؤون التربية والتعليم، لصياغة الشاكلة التي تفرغ في قالبها الأجيال.

والشاهد القاطع لهذه الحقيقة، نجده في ترسانة القيم التي تسبح في سديم المنظومة التعليمية، عبر ما يقرر فيها من مؤلفات أدبية تستهدف ضرب المقدسات بجميع أنواعها، ومحو مفهوم المقدس من الأذهان والوجدان، لدى المتعلمين الأبرياء، والدأب على شحن نفوس هؤلاء بما شذ من المفاهيم والتصورات، وما خبث من الأخلاق والعادات، وعلى تجريئهم على النيل من دين الإسلام وانتهاك حرمة رموزه، انتهاء إلى إفراغهم من أبسط محتويات الإيمان، ومعاني الولاء لثوابت الأمة، كل ذلك تحت غطاء الفن ولافتة الإبداع.(8) إنك لن تعثر في أغلب النصوص والروايات المقررة إلا على ما يروج للبذاءة ويفسد الأذواق، ويحول الشباب إلى قنابل متفجرة بالتمرد والفسوق والعصيان، وإلى معاول هدم وتخريب، وعوامل قلق تهدد المجتمع في أعز ما لديه: نعمة الأمن والاطمئنان.

ورعاة الحداثة الذين يتسللون إلى سدة القرار في الشأن التعليمي، لا يمكن إلا أن يخدموا ما يؤمنون به من تصورات شاذة، وما يحملونه من قيم ممجوجة لقيطة، فيغنمون غنيمتين: غنيمة مادية بتحصيل ثروة مسمومة، وغنيمة معنوية إيديولوجية، بالانتصار لما انتدبوا أو ندبوا أنفسهم لترويجه من أفكار وقيم حداثية صفيقة بين أبناء الشعب الغافلين، أو المغلوبين على أمرهم. ولكن اللوم كل اللوم إنما يلقى على من سمح ويسمح لهؤلاء أن يتسللوا إلى الحمى ليضعوا فيه ما يشاءون من بذور السوء وأزهار الشر(9) ويدخل فيمن يقع عليهم اللوم، كل الأطراف المسؤولة عن حمل أمانة التربية والتعليم، في جميع مستوياتهم ومراتبهم، وأشدد هنا على الطرف المعني والممسوس مباشرة بويلات قيم الحداثة وشرها المستطير، وهم الآباء وأولياء أمور التلاميذ، والجمعيات الممثلة لهم، فهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم بامتياز مدلول الأبوين في قول رسول الله ﷺ : «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(10).

إن عملية "جدع"(11) كبرى تمارس على الناشئين في وطننا المبتلى، بواسطة ما يضخ في نفوسهم و يقذف في روعهم، وما تقصف به عقولهم الغضة من قيم الحداثة المنبتة، التي يعتبر بثها والترويج لها وسط هؤلاء الأبرياء، عدوانا سافرا على الفطرة، وإهدارا لثروة الأمة وعدتها المستقبلية المتينة، وعملتها النفيسة.

ثانيا: آثار التخليط بين الجنسين على التربية والتعليم

1- آثار التخليط على التعليم:

من الواضح لدى العقلاء، أن العملية التعليمية لا يتأتى لها النجاح، وأن تؤتي أكلها إلا إذا جرت ضمن شروط سليمة، وأجواء نظيفة من العوائق والأكدار والإكراهات النفسية، ذلك بأن فعل التقاط المعارف وتحصيلها يحتاج إلى تركيز قوى طالب العلم، والتفاف قدراته وملكاته حول بؤرة التعلم، ومن ثم الحيلولة دون ما يصيب تلك القوى بالتفرق والشتات، وتلك القدرات والملكات بالتبلد والانكساف، وقد أصبح في حكم اليقين، أن داء التخليط بين الجنسين في التعليم، من شأنه أن يصيب عملية التعلم والتحصيل في مقتل، لأنه سبب إثارة للنفوس وتشويش للأذهان، وتهييج للغرائز لدى الفتيات والولدان. وتتفاقم الوضعية وتزداد سوءا في ظل فوضى اللباس لدى الإناث التي تزيد الغرائز جموحا واشتعالا، وتذهب بنور الانتباه والفهم، خاصة لدى الذكور الذين يكثر شرودهم وغيبوبتهم عما يجري في قاعة الدرس، إلا من رحم الله.

لقد آن الأوان، أن يتحلى المسئولون عن التعليم في بلدنا بالحكمة وبعد النظر وروح المسئولية، ويعالجونه بنزاهة وتجرد وموضوعية، وينظروا إلى فيروس التخليط في حجمه وخطورته، من حيث هو عامل من عوامل نسف المنظومة التعليمية برمتها، فإذا ضممنا هذه الآفة ذات الطابع البيولوجي النفسي والعلائقي إلى داء الخلط الفلسفي والتدجين القيمي، والغموض المقاصدي، عرفنا إلى أي حد تكون منظومتنا التعليمية محكوما عليها بالعقم، والاتجاه الجنوني إلى الارتطام بجدار الفشل والإحباط.

إن من شأن المراجعة الجادة، أن تكشف الحقائق وتضع حدا للمراوحة واجترار الإخفاق، الذي لن تجدي المخططات الاستعجالية كبير فائدة في تخطيه ولو كثرت، ولن تزول عنا وصمة التأخر والعار التي تلازمنا وندمغ بها في الترتيب العالمي، كلما أعلنت الدوائر والمنظمات المتزعمة عن نتائج الرصد والتقويم، تلك الوصمة التي أصبحت سبة ومهانة، ومثارا للشماتة، إلا برجعة صادقة إلى معين الفلسفة التربوية الصافي من كل الشوائب والأكدار، وليس ذاك المعين إلا معين القرآن الذي لا ينضب، ولا تنتهي عجائبه، والذي وصفه منزله سبحانه وتعالى على المعلم الهادي سيد الأنبياء المرسلين وخاتمهم [، بقوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(12).

ومن عجيب المفارقات، أن الدول والمجتمعات الغربية التي تفتقد إلى الميزان الذي أكرمنا به الباري سبحانه وتعالى، تقف وقفات تقويمية لأحوالها، ومنها الأحوال التعليمية، لرصد العثرات ومواطن الضعف والإخفاق، ولا تجد بدا من الإنصات لنتائج الرصد والتقويم، وتدخل في تجارب جادة لإصلاح الحال، لا من باب التدين، ولكن من باب التعقل، لتحسين المحصول الدنيوي. وأسوق هنا نتائج " دراسة غربية نشرت في الثامن من يوليوز 2002، قامت بها هيئة حكومية بريطانية تدعى المؤسسة الوطنية للبحث التعليمي، والتي أجريت على 2954 مدرسة ثانوية في أنجلترا، لدراسة مدى تأثير حجم المدرسة ونوعها (مختلطة أو غير مختلطة) على أدائها التعليمي. أوضحت هذه الدراسة نتائج مدهشة أبرزها أن أداء الطلبة الذكور والإناث، كان أفضل دراسيا في المدارس غير المختلطة، والفتيات كن أكثر استفادة من الفصل بين الجنسين في تنمية أدائهن... كذلك وجد من تحليل نتائج الامتحانات البريطانية العامة)

Gcse)، أن المدارس غير المختلطة تحقق أفضل النتائج وأعلاها بشكل روتيني: ففي سنة 2001، كان العشرون الأوائل في امتحانات gcse البريطانية من طلاب المدارس غير المختلطة، وأغلب الخمسين الأوائل من الدارسين في تلك المدارس...) وفي تجربة أخرى(تم في مقاطعة إسكس بجنوب شرق إنجلترا، تقسيم مدرسة فيرهيرت الثانوية المختلطة إلى مدرستين، إحداهما للذكور والأخرى للإناث، مع بقاء المنهج والأساتذة على حالهما. وبعد ثلاث سنوات من بدء التجربة، بينت النتائج أن أداء الطلبة ارتفع بنسبة 26٪ وأداء الطالبات بنسبة22٪"(13).

هذه التجارب الواقعية ذات الصدق العلمي والموضوعي العالي،تدمغ كل المزاعم الباطلة والهرطقات الممجوجة التي لا سند لها غير الهوى،والصادرة ممن يبغونها عوجا، وصدق الله العظيم" ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن"(14).

ومن غير الدخول في جدال عقيم، نقول للمعجبين بالغرب المنبهرين لبهارجه، لماذا تلتقطون أوساخه وتتركون حكمته،، وهي كامنة في أصول دينكم وتشريع ربكم، في صيغة أكمل، وحلة أبهى وأجمل؟

إن أمر المسئولين عن التعليم وموقفهم من الاختلاط بين الجنسين فيه، أشبه ما يكون بموقف اللجان المسؤولة عن محاربة حوادث السير على الطريق، ومن وراءها من أصحاب القرار، من الخمر التي تكمن وراء نسبة عالية من الحوادث المفجعة، فهؤلاء يغمضون أعينهم عن الإشارة لأم الخبائث بالاتهام، وبتحميلها جريرة نسبة هامة مما يراق من دماء، ويزهق من أرواح، ويهدر من طاقات، وأولئك يغمضون أعينهم عن الاختلاط، وينزهونه عما يقع في ساحة التعليم من تردي وانحدار، ومن جراحات وأكدار، ومن إفلاس وخراب دار. فهل بأسلوب النعامة، وبالإصرار على الباطل تحل المشكلات وتذلل العقبات، ويطمع الناس في تحقيق ما يؤمل من آمال وأمجاد؟

2- آثار التعليم المختلط على التربية والأخلاق:

إذا كان الاختلاط يذهب بريح "المنظومة" التعليمية، ويعرقل نموها الطبيعي، ويصيبها بالإفلاس العلمي، فإنه من جهة أخرى يتلف الشق الآخر من كيان تلك المنظومة،وهو المتعلق بالقيم الخلقية السامية، وبالسلوك المتزن النبيل، ويحول دون فرصة بناء الشخصية السوية والمتكاملة عند الفتيان والفتيات على حد سواء. وقد سبق أن أشرت إلى أن ما يزيد التعليم المختلط تأججا وانفلاتا، هو فتنة اللباس الذي ليس بلباس، والذي تتحول معه المؤسسات إلى معارض دائمة لكل شاذ وغريب من "الموديلات" والأزياء، التي تشكل في حد ذاتها أحابيل للشيطان ودعوة صارخة للتبذل والفجور. وإن ما يجري يوميا من مظاهر الميوعة والاحتكاك الآثم بين التلاميذ والتلميذات، داخل وعند محيط المؤسسات، ليثير الغيظ والحنق لدى الغيورين على الأجيال وعلى العلم والتعليم،والتربية والأخلاق، ويملأ قلوبهم حزنا وأسى على منظومة تخرج أشباه الرجال والنساء، ويدفع إلى معترك الحياة بطوائف ممن زاغت أبصارهم ووهنت قواهم، وغلبت استعدادات الهدم فيهم على استعدادات البناء. ومما يزيد الخطب هولا والمشكلة تعقيدا، ما يحيط بالمؤسسات، من أوكار وخلايا شيطانية، تعمل بكل ما أوتيت من خبث وفساد، على بث السموم وزرع الألغام التي تدفع بشكل رهيب، إلى وضع تتحول فيه تلك المؤسسات إلى خرائب وأطلال.

ثالثا: هل إلى خروج من سبيل؟

إن من خصائص أمة الإسلام أنها لا تجتمع على ضلال، كما جاء في حديث لرسول الله ﷺ، ومن خصائصها أنها قائمة على النصيحة، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر. من هذا المنطلق، لا بد أن تنهض كل القوى الحية في الشعب بمبادرات فاعلة لإعادة هيكلة سفينة التربية والتعليم، وتمتين ألواحها، وإحكام دسرها، وحسن اختيار ربابنتها ومهندسيها وتقنييها، وسائر القائمين على أمرها، وإعادة الإقلاع على بركة الله مجريها ومرسيها، والاهتداء للإبحار الآمن، بخرائط مدققة لمجاهل المحيطات والبحار، لإيصال الركاب إلى شاطئ النجاة وبر الأمان.

في هذا السياق، ومساهمة متواضعة مني أقترح ما يلي بقلب مفعم وصوت جهير:

1- تحلي المسؤولين عن شأن التربية والتعليم في هذا الوطن العزيز، بالشجاعة الكاملة لإعادة النظر بكل جدية وإخلاص، في قضية الاختلاط، إذا كانت تريد فعلا أن تقيم مبادرتها لتأسيس مدرسة النجاح، على قاعدة صلبة وأساس راسخ متين، وإذا كانت جادة في توخي الجودة التي أصبحت شعار العصر في كل المجالات، وعلى رأسها التربية والتعليم.

2- الاستفادة في هذا السبيل من تجارب الغربيين ودراساتهم الرصينة الهادفة، وذلك بالوقوف عن كثب على تلك التجارب، وإذا كان من المعلوم أن صياغة "الميثاق الوطني للتربية والتعليم" منذ عشر سنوات،قد سبقتها اتصالات ممن وكل إليهم أمر إعداد مواده وعناصره وركائزه، بدوائر التعليم وخبرائه في بلدان الغرب، أفلا يكون من الغريب ألا يكون هؤلاء الذين سلمت لهم هذه الأمانة الثقيلة، قد أثاروا قضية الاختلاط على بساط التعرف والنقاش، فلم الإصرار على تجاهل أمر، سوف تلاحقهم عواقبه، وتلتف حول أعناقهم كوارثه عاجلا لا آجلا؟

3- إيلاء عناية خاصة لأمر اللباس والهندام الذي ينبغي أن يظهر به التلاميذ بشكل عام، ولباس التلميذات بوجه خاص، وبخصوص هذا الموضوع نسائل المسئولين عن مذكرات الهندام التي تلزم التلاميذ بلباس وسط بين الجمود والجحود(15).

4- إنشاء مرصد للمشاكل المدرسية، يتوصل بتقارير أمينة ووافية عما يقع ويجري في المؤسسات وفي محيطها، ويقوم بتحليل معطياتها، لاستخلاص النتائج والعبر، وصياغة الخطط والحلول.

5- ضرورة إدراك القيمين على أمر التربية والتعليم، أن ترسُّمَ فِكْر الحداثة في التعليم، سيؤدي لا محالة إلَى السقوط في مستنقع التغريب، وسيورث الأمة الشلل والكساح، بعد الميوعة والانحلال.

6- إيلاء جمعيات آباء وأولياء التلاميذ مطلب الفصل في المدارس قسطا هاما من جهودها، والجهاد الدءوب من أجل تحقيقه، خضوعا لقيم الإسلام، والتماسا لأسباب الجودة ورفع مستوى التربية والتعليم.

7- مطالبة أصحاب المدارس الخاصة بهامش من الحرية يمكنهم من إعطاء القدوة والمثال في خوض تجربة الفصل وعدم الاختلاط.

8- إعطاء الصلاحية لمديري المؤسسات، لتخصيص أقسام للذكور وأخرى للإناث، لإتاحة فرصة للمقارنة ومعرفة الحقائق.

خاتمة

إننا ونحن نعيش في عصر تصك فيه الآذان معزوفة حقوق الإنسان، نستغرب أشد الاستغراب، بل ونستنكر أشد الاستنكار، أن لا يمكن آباء وأولياء التلاميذ من حق الاختيار، بين أن يودعوا أبناءهم وبناتهم مدارس مختلطة، أو غير مختلطة، و هذا أضعف الإيمان، كتمهيد لدخول المؤسسات التعليمية في السلم كافة.

إلى عهد ليس بالبعيد، كان هناك حد أدنى، أو ما تحت الأدنى، يتمثل في تخصيص مؤسسة أو مؤسستين أو أكثر للبنات في كل مدينة، وقد كان ذلك من مخلفات عهد الاستعمار، حيث كان ذلك مظهرا للملاينة، والحذر ومراعاة خصوصية مجتمع دينه الإسلام، أما اليوم فقد تم إلحاق تلك المؤسسات بأخواتها، استكمالا لقانون الحداثة الذي ينبغي أن يعم بغطائه الجميع. ومما يثير الاشمئزاز وتضيق له صدور الغيورين الشرفاء، أن يحرص مسئول في أعلى مستوى، في عهد سابق، على أن يجوب جهات المملكة، مبشرا بضرورة احترام الاختلاط، محذرا من تسول له نفسه المساس به، لأن ذلك يعد إخلالا فظيعا وجرما شنيعا، ويكفي لوصفه بذلك، أن يدرج مقترفه في خانة التمييز بين الجنسين، ويا ويح من وجد متلبسا بتلك الجناية الفادحة في قسم من الأقسام، بأن يخصص صفوفا للذكور وأخرى للإناث، إن أقل شيء يتخذ في حقه،هو أن يزجر، ويوصم بوصمة التخلف عن ركب الحداثة.

ياأيها المسئولون، إن أمر التعليم لأمانة، وإنها يوم القيامة لحسرة وندامة، لمن لم يقم بحقها، وإن الاختلاط، أو بالأحرى التخليط في التعليم، ليعد لوثة حداثية لا تليق بأبناء وبنات شعب مسلم، يأمرهم دينهم بالحجاب والاحتشام وبالتحلي بكل مكارم الأخلاق، ويحثهم على سد أبواب الشر والفساد، فهل أنتم منتهون؟.

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾(16).

---

1 . "أبو نصر بن محمد بن عبد الله الإمام، "الاختلاط أصل الشر في دمار الأمم والأسر" ط1، دار الآثار ،صنعاء، 1430، 2009، ص: 30

2 .

3 . ترجمة محمد سبيلا، com.mohamed-sabila.www

4 . مفهوم الحداثة الغربية ، حداثة بلا جذور org.arabswata.www

5 . دراسة معرفية في الحضارة الغربية com.alokab.www

6 . سورة الجمعة الآية2

7 . " قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية"

8 . " دعوى أهل الحداثة أن الأدب يجب أن ينظر إليه من الناحية الشكلية والفنية فقط، بغض النظر عما يدعو إليه ذلك الأدب من أفكار، وينادي به من مبادئ وعقائد وأخلاق، فما دام النص الأدبي عندهم جميلاً من الناحية الفنية فلا يضير أن يدعو للإلحاد أو الزنا أو اللواط أو الخمر" انظر كتاب الدكتور عوض القرني: " الحداثة في ميزان الإسلام " ص: 18

9 . إشارة إلى ديوان بودلير الشاعر الفرنسي الذي يعد من أئمة الحداثة ومراجعها الكبرى في مجال الشعر.

10 . أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر رقم2568 وهذا هو نص الحديث:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه،كما تنتج البهيمة الجمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، " وفي رواية أخرى، حتى تكونوا أنتم تجدعونها.

11 . اشتقت هذا المصطلح من قول رسول الله ﷺ في حديث الفطرة المشار إليه آنفا: " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟

12 . سورة الإسراء الآية9

13 . عن مجلة الشقائق العدد61، رجب1423، سبتمبر2002،ص:21

14 . سورة المؤمنون الآية 71

15 . إشارة إلى مذكرة صدرت في نهاية السبعينيات تأمر بلباس" لا يرتكب جحودا ولا يقر جمودا"

تغيير مناهج التعليم.. واختراق الحصن الأخير..

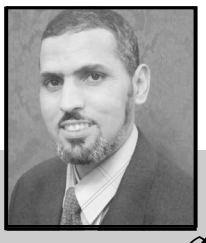

ذ محمد بوهو
Al_qalsadi2006@hotmail.com

مـــدخـــل : التربية عملية شاملة يتم بها الانتقال بالفرد أو المجتمع من الواقع الذي هو عليه إلى المثل الأعلى الذي ينبغي أن يكون عليه وهي-وفق هذه الرؤية- مستمرة تتكامل مؤسسات تربوية اجتماعية كثيرة في تحقيقها، فالأسرة والمدرسة والمسجد ونحوها تشترك في وظائف تربوية كثيرة، وقد يتميز بعضها عن بعض في أدائها لبعض وظائفها التربوية، كما قد يستقل بعضها بأداء وظائف لا يشاركه فيها مؤسسات أخرى. وهذه المؤسسات التربوية تتكامل أيضا مع مؤسسات اجتماعية أخرى غير معنية بالتربية كالمؤسسات الإعلامية والثقافية، وأدنى درجات التكامل الذي تتوقعه المؤسسات التربوية من المؤسسات الاجتماعية الأخرى هو عدم المناقضة أو الإعاقة، أي أن لا تعوق تلك المؤسسات الاجتماعية المؤسسات التربوية في أداء وظائفها..

والمدرسة واحدة من أكثر المؤسسات التربوية أهمية، وهي تضطلع بوظائف تربوية كثيرة منها ما هو اجتماعي ثقافي ميدان التغيير فيه هو المجتمع، ومنها ما هو تربوي نفسي ميدان التغيير فيه هو الفرد المتلقي للتربية..

والمنهج هو وسيلة المدرسة لتحقيق أهدافها ووظائفها التربوية وكثير من وظائفها الاجتماعية، ويعرّف المنهج بأنه ((مجموع الخبرات والنشاطات التي تقدمها المدرسة -تحت إشرافها- للتلاميذ بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو تعديل في سلوكهم، ويؤدي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الهدف الأسمى للتربية)).. وهو بهذا التعريف لا يقتصر على الكتاب المدرسي وإنما يمتد ليشمل عناصر كثيرة منها الخطة الدراسية، وطُرق التدريس، والمواقف التعليمية والتربوية، والنشاطات الصفية وغير الصفية، وكثير من عناصر البيئة المدرسية..

أولا – تعليمنا بين الأمس اليوم..

كان التعليم في إطار الحضارة العربية الإسلامية، يستمد مرجعيته من الأصول الثابتة للأمة (الوحي والنبوة: القرآن والسنة).. وقد جاء أول خطاب من الوحي الإلهي للإنسان بالأمر بالقراءة (اقرأ).. وأشاد الله تعالى بالقلم باعتباره أداة العلم والتعلم فقال: ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾.. وبين رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ أن الوظيفة التي من أجلها أُرسل إنما هي (التعليم)، قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا».. وتعلم الصحابة والسلف الصالح من هذه التعاليم السامية فكانوا ذروة في العلم والتعلم.. قال أبو الدرداء: "مذاكرة العلم ساعة خير من قيام الليل" وقال الثوري:" ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم" وقال أيضا:" ما أعلم اليوم شيئا أفضلَ من طلب العلم"..

ولقد ظهرت جامعات علمية وتعليمية في كل بقاع الأرض الإسلامية، فكان "الأزهر الشريف" في أرض كنعان (مصر)، و"جامعة الزيتونة" في تونس، و"القرويين" في المغرب.. والأندلس معقل العلم (إشبيلية وقرطبة).. وبرز مجموعة من العلماء والمفكرين والمتخصصين في كل أنواع العلوم: فكان ابن سيناء وابن الهيثم وغيرهما في الطب، و ظهر الخوارزمي وثابت بن قرة والقلصادي وابن البناء المراكشي وغيرهم في الرياضيات، وظهر أمثالهم في الكيمياء والفيزياء والصناعة والعمارة الهندسة.. كما برز الفنانون في شتى مناحي الفن، في الرسم والنحت(المميز للحضارة الإسلامية)، المسرح (كان على شكل مقامات)...

بداية الأزمة والنكبة:

كانت أولى الفواجع والنكبات التي مني به العالم الإسلامي، ونزلت بساحة الإسلام، والتي تكاتفت عليها معاول الصليبية واليهودية، هي إسقاط الخلافة الإسلامية سنة 1924 هـ، والقضاء على رمز قوة المسلمين ووحدتهم.. وتلقت الأمة ضربة موجعة على جميع الأصعدة (حرب سياسية، حرب اقتصادية، حرب على الدين والمتمثل في ظهور الفرق الباطنية والتيارات الالحادية والعلمانية.. وحرب على الفكر والثقافة والمتمثل في مكائد الاستشراق وغيره.. كانت من جرائها أنها أصيبت بالمرض وضعف القوة...

لكن لم يقف الأعداء والمحاربون للأمة عند هذا الحد، لأنهم يعملون أنه ما دامت مقومات النهوض وأسباب الحياة قائمة -المتمثلة في المرجعية الإسلامية والتعليم المبني عليها- فإن هذه الأمة لن تموت.. فعمدوا إلى ابتكار وسائل حرب جديدة يستطيعون من خلالها تدمير الفكر الإسلامي والقضاء على أساسيات التربية والتعليم في مناهجه وطرق التعلُّم فيه..

الحرب الحضارية وحديث النهايات..

لقد تمت هذه الخطة التخريبية على مراحل، أولا بفتح مدراس الإرساليات التبشيرية (التنصيرية) واستقطبوا فيها أبناء الطبقات المؤثرة في المجتمع.. وثانيا عملوا على شطر التعليم إلى شقين: "تعليم ديني" أو "تعليم تقلدي" (وصف "الأزهر" في هذا بالتعليم التقليدي)، وتعليم أسموه "تعليما مدنيا"، مع احتواء الأخير على بعض المناهج الشرعية التي لم يُبقوا لها أثرا في العملية التعليمية التعلُّمية حيث عملوا بعد ذلك على إضعاف هذه المناهج - في هذا التعليم المدني- بعدة طرق، منها:

× **طريقة وضع المنهج..** فنجد المواد قد وضعت في المقررات على شكل "ابلوكات" Blocs معزول بعضها على بعض بشكل مقصود..فنجد مثلا مادة التربية الإسلامية معزولة من حيث المضامين والأهداف عن العلوم البيلوجية والفلك والفيزياء، حيث لا وجود للإيمان فيها ولا لمظاهر قدرة الله تعالى في كل شيء وتحلياتها.

× **طريقة تدريس المنهج..** فنجدها تعتمد في التنزيل على عدم ربطها بالهوية الإسلامية للأمة..

× **موقع حصص التعليم الإسلامي في اليوم الدراسي..** حيث توضع في آخر جدول الحصص غالب الأوقات..

× **الحط من مدرسيه وإهمالهم..**

× ثم بعد ذلك، **تخفيض عدد ساعات هذه المناهج..** وتخفيض المعامل المرافق لها..

× **تعديل هذه المناهج بما يتوافق مع الاتجاهات العلمانية والعولمية..**

× **التعليم الديني** لم يسلم هو الآخر من أذاهم، فباسم التطوير أدخلوا فيه بعض المواد غير الشرعية- لا لتوسيع أفق الطالب، ولكن لمزاحمة مناهج المواد الشرعية، وبعد ذلك طالبوا -تخفيفا على الطالب- تخفيف حجم المواد الشرعية!!.. والهدف في النهاية هو إبعاد التعليم الإسلامي عن الاحتكاك بالواقع وبالتطورات الحديثة وذلك حتى لا يشكل خريجوه عناصر منافسة لخرجي المعاهد العلمانية..

كل هذا خطط له دهاقنة الاستعمار بعد الدرس والتمحيص.. كل ذلك لا يزال يعمل عمله في المدارس والكليات والجامعات بكل قوة ولم يقم أحد بأي عمل يكبح جماح هذا الانحراف. الحق أن الوضع الآن أسوأ مما كان عليه أيام الاستعمار.. زمانئذ كانت هناك المقاومة والبحث عن التحرير وعن الحل الإسلامي تفعل فعلها في كل النفوس تقريبا. أما الآن، فقد سادت روح الاستخفاف والبلادة وانعدمت الثقة في كل القيادات المنقاذة مع التعليم الذي لا يزال يعمل على سلخ الناشئة وخاصة الشباب من إسلامهم وإبعادهم عن هويتهم الأصيلة..

وقد وجدوا ذريعة أخرى يحاربون بها الإسلام، والمتمثلة في اتهام التعليم الإسلامي بأنه يدعو ويخرج الإرهابيين !!.. وهذه حملة جديدة حبكت خيوطها حبكا لتصب في اتجاه إحكام الهيمنة الأمريكية على العالم، وفرض أنماط للحياة تخدم مصالحها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.. وبالتالي فقد أكدوا على ضرورة تطوير تعليمنا وتحسين الأداء فيه حتى يكون في مستوى مسايرة التطور الحالي على حد زعمهم وادعائهم..

وهنا لا بد من إشارتين أساسيتين: الأولى، **أن التطوير المزعوم جاء استجابة لتحقيق رغبات خارجة عن إرادة الأمة الإسلامية. الثانية، تضخيم الجانب النظري في المواد الدراسية على حساب الجانب التطبيقي العملي، فضلا عن الجانب السلوكي الإيماني..**

وعموما فإن التطوير المزعوم له سمات خطيرة نلخصها في النقط التالية:

1- غياب رؤية واضحة للتعليم: تتمثل في غياب فلسفة اجتماعية تبني عليها فلسفة تربوية واقعية ومتماسكة.. فالمسؤولون يظنون أن تخصيص ميزانية معنية للتعليم يكفي للنهوض به، وتنتهي مهمتهم عند هذا الحد!..إذ تشير تقارير البنك الدولي ومنظمة التربية والعلوم ((اليونسكو)) إلى أن الدول العربية تنفق على التعليم مبالغ باهضة لا تقل عن التي تنفقها الولايات المتحدة أو الدول الأمريكية تنفق على التعليم 5,5٪ من الناتج القومي الأمريكي، وفي الوقت الذي تصل فيه نسبة الإنفاق على التعليم في الدول العربية إلى 5,8 ٪ من الناتج القومي(مع الفارق بين الناتج القومي لدى الجانبين)، استبعادا لفارق الناتج القومي، فان ما ينفقه المغرب الميزانية على التعليم(25٪)، كما تنفق الجزائر 30 ٪ من ميزانيتها على التعليم، وتنفق مصر على 1000 طالب أكثر مما تنفقه الولايات المتحدة على نفس العدد، أما السعودية والكويت وباقي دول الخليج فتعد من أكبر دول العالم إنفاقا على التعليم..

لقد آل تعليمنا إلى وضعية مأساوية، حيث أصبح بدون رؤية تحكمه ولا تصور يضبطه.. يقول الشهيد إسماعيل الفاروقي رحمه الله في كتاب الفريد (أسلمة المعرفة): ((إن المباني والمكاتب والمكتبات والمختبرات وفصول الدراسة والقاعات الكبيرة التي تعج بالطلاب ليست سوى أدوات مادية لا قيمة لها بدون رؤية واضحة..))

إن المسلمين في خلال القرنين الأخيرين من التربية العلمانية لم ينتجوا شيئا يوازي في الإبداع أو الامتياز ما في الغرب- مدرسة أو كلية أو جامعة، أو جيلا من العلماء المتميزين -والنتيجة الحتمية لغياب هذه الرؤية هي هذه المشكلة المستعصية على الحل- مشكلة انخفاض المستوى في مؤسسات العالم الإسلامي.

إن البحث الأصيل عن المعرفة لا وجود له دون روح تبعث فيه الحياة، وهذه الروح لا يمكن اقتباسها، وذلك لأنها تتولد من الرؤية الواضحة للنفس وللعالم وللحقيقة، أي من الدين، وهذا ما يفتقده نظام التعليم في العالم الإسلامي اليوم.. ذلك أن المواد والمناهج التي تدرس في البلاد العربية والإسلامية حاليا إنما هي نسخ مما عند الغربيين لكن مع افتقارها للرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصيلة. وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف. هذه المواد والمناهج التي لا روح فيها تظل -من حيث إنها تقف كبدائل للمواد والمناهج الإسلامية وكعوامل للتقدم والتحديث- إنها تجعل من الخريج في جامعات العالم الإسلامي نموذجا للشاب المغرور الذي يظن بنفسه العلم مع أنه في الحقيقة لا يعرف إلا قليلا.

إن مأساة التعليم الكبرى في بلاد العرب والمسلمين تتمثل يقينا في أن الأساتذة في ثانويات وجامعات العالم الإسلامي لا توجههم الرؤية الإسلامية ولا تحفزهم قضية الإسلام..إن الطلاب في كل العالم الإسلامي يدخلون الجامعات وكل ما تسلحوا به -فيما يتصل بالرؤية الإسلامية والتصور الإسلامي- معلومات ضئيلة عن الإسلام تلقوها في بيوتهم أو في المدرسة الابتدائية أو الثانوية. وواضح أن هذا لا يُكَوِّن لديهم ((رؤية)) ولا يوجِد ((قضية))..

وهكذا تصبح إمكانية تفوق الطالب المسلم في علوم الغرب أمرا بعيدا المنال، ذلك لأن مثل هذا التفوق يتطلب من الدارس تصورا شاملا لمجموع المعارف في مجال الدراسة، كما يتطلب منه أن يكون مدفوعا بفكرة تحركه ليستوعب هذه المعارف ثم يتجاوزها ويزيد عليها.. هذا الاستيعاب الشامل والتفوق ثمرة للدافع والفكرة المحركة، والأخيران لا يتولدان إلا من الالتزام بقضية. أما دون قضية فلا يمكن أن ينهض الدارس ليستوعب مجموع المعارف في مجال دراسته. وإذا لم يستوعبها فكيف يمكنه أن يتجاوزها ويتفوق عنها؟!..

فليس للمسلم من قضية يلتزم بها سوى الإسلام.. وإذا لم توجد هذه القضية فمحال أن يصل المُدَرَّسون إلى استيعاب شامل للمعرفة !!..

2- الأسلوب المتبع في ملء الفراغ التربوي بالاستعارة من الغرب.. وفي هذا الجانب تجدنا نأخذ الفكرة ونقيضها، دون أن يكون لخصوصيتنا دور كبير، بل لا نقف منها موقفا نقديا على الأقل، ولا نقرأ الشروط الاجتماعية التي احتضنت ولادتها.. المهم أننا نستورد نُظما اجتماعية منزوعة من سياقها الاجتماعي والحضاري ونريد استنباتها في محيط لا تمت له بصلة..

3- الخلط بين الغايات والمقاصد والإجراءات: والوقوف عند حدود العموميات والمبادئ العامة التي لا خلاف عليها، وليطلع من يرتاب فيما نزعمه على وثائق سياستنا التربوية، ونتائج مؤتمراتنا وندواتنا حول تطوير نظم تعليمنا وتأهيل معلمينا..

قيم الحداثة تحجم القيم الإسلامية في مقررات التربية الإسلامية

د. محمد ناصيري

أهمية القيم في العملية التربوية

تهدف العملية التعليمية اليوم إلى تحقيق أربعة أشياء:

1- التربية على امتلاك القدرة على التعرف على الأشياء ، وحقائقها.

2- التربية على معرفة الإنسان ذاته.

3- التربية على إتقان المهنة أو الحرفة المستقبلية.

4- التربية على وسائل التعايش والتساكن بين الناس.

ونحن نضيف هدفا خامسا وهو الأول وهو التربية على الإيمان بالله ومقتضياته؛ لأنه هو أسمى هدف، وهو ما يضفي على بقية الأهداف معنى، ويخرج المتعلم إنسانا وليس آلة، أو أسدا في غابة، وبدون الأربعة فستحصل رهبانية، أو إذلال، ونحن نتحدث من زاوية التعليم والتربية فقط، والأربعة تؤكد دخول عصر ما بعد الحداثة حيث يغيب مفهوم الله عن التفكير.

وتتم هذه الأمور الخمسة الكلية من مكونات العملية التعليمية، عن طريق غرس القيم المرتبطة بها، وبناء العقائد التي ترسخها، وبث المشاعر التي تولد الشعور بها، حتى تصير هذه القيم هي العوض عن كل سلوك قبيح؛ فيزهد المتعلم في السلوك القبيح، والسلوك الخطأ، بفضل ما يشعر به من مكتسبات يحصلها إذا تمسك بهذه القيم.

والقيم في المناهج يمكن أن تقدم باعتبارها معايير للسلوك المطلوب في الموقف المطلوب، ويمكن أن تقدم في صورة وقائع تكون القيمة فيها هي المفتاح الذي يفسر النجاح المحقق في الواقعة.

وليست القيم على وزان واحد فالحاجة إليها في العملية التعليمية المحدودة بالزمان والمكان، تتوقف على أثر كل قيمة في واقع المتعلم، فمثلا إذا ظهر الاستهتار بالوقت فإنه يجب تضخيم قيمة الزمن، وإذا تفشى الاستغفال، واستغلال براءة الناس، فيجب تضخيم قيمة الحقيقة العلمية، وهكذا يكون واضع البرنامج مستحضرا لواقع المتعلم وهو يستحضر القيم التي يجب التركيز عليها.

كما يمكن الاستغناء عن بعض القيم في البرنامج إذا كانت غالبة على السلوك الاجتماعي لما له من تأثير في تحصيلها عن طريق الشعور.

القرآن مصدر قيم التحضر، والتربية الإسلامية بناء لها

تعتبر التربية الإسلامية من أهم المواد المحتوية على القيم، إن لم نقل إنها مادة القيم.

فنحن نعتقد أن رسالات القرآن جاءت لتعرض تصورا خاصا للإله وللكون والحياة والإنسان، وهو ما يكون العقيدة الإسلامية، وجاءت لتعرض النموذج الأفضل في نظام العلاقات الاجتماعية. وكل سلوك يصدر عن قيمة راسخة، سواء أكانت قيمة إيجابية أم سلبية، وكل قيمة من القيم يكون وراءها تصور خاص؛ فتصير الدالة هكذا: عقيدة يلزم عنها قيمة، ويلزم عن القيمة سلوك.

شروط إثمار القيم

لكن لابد من استحضار أن القيم لا تدرس مجردة، فإذا أردنا أن يكون لها الأثر في نفس المتعلم لابد من تضافر عوامل مهمة في العملية التعليمية، وهي: أولا: وضوح القيمة وارتكازها على عقيدة تشكل التصور العام للمجتمع، ثانيا: وجود البيئة التي تتمثل فيها القيمة، لينبعث الشعور بأهميتها، ثالثا: وجود المدرس الذي يؤمن بها، ويعيشها في حياته، لكي يتمثل فيه دور حارس القيمة، والمربي عليها.

فإذا كان مفهوم القيم وشروط تأثيرها هو ما سلف، فإن الناظر في واقع المتعلمين، يلحظ تنافرا كبيرا بينه وبين المأمول، والسؤال هنا: ما هو السبب في فساد واقع المتعلم؟ هل خلت مقررات التربية الإسلامية من القيم الإسلامية؟ وهل حقا حل محلها قيم الحداثة الغربية وطغت عليها؟ وهل كل قيم الحداثة الغربية مرفوضة؟ أم هناك أسباب متداخلة أفقدت القيم الإسلامية تأثيرها في نفس المتعلم؟

مادة التربية الإسلامية عوملت بالمنظور النفعي المادي

والجواب عن هذه الأسئلة يتطلب بحوثا نفسية واجتماعية دقيقة، وفي غيابها لا يمكن أن نتقاعس عن بحث المسألة بطرق مختلفة، ومن ذلك البحث في شروط تأثير القيم على نحو ما سبق، وفي ضوء الأسئلة الآنفة.

اعتمدت في فحص مقررات التربية الإسلامية لمستوى الثانوي التأهيلي، على كتاب "في رحاب التربية الإسلامية" السنة الأولى والثانية من سلك الباكالوريا، و"منار التربية الإسلامية الجذوع المشتركة"

وحددت مفهوما لقيم الحداثة الغربية ليكون البحث في كامل الوضوح، واعتبرتها، "المعاني الكبرى المعيارية للسلوك المرتبطة بالمادة المجردة" ولذلك أخرجت قيما اشتهرت أنها حداثية وهي ليست كذلك كالعدل، والعلمية، فيبقى من القيم الحداثية المرفوضة ما يرتبط بالإشباع المادي المؤسس على المنفعة، أي كل شيء لا يترتب على فعله منفعة مادية فهو عديم القيمة، أو كل خلق لا يستمد قيمته من أصل غيبي، بل قيمته في ما يتحقق به من إشباع فقط.

وبناء على هذا فإن أي خلق أو سلوك له أصل من الكتاب أو السنة لا يعتبر من قيم الحداثة، ولو تبناه الحداثيون، بربطه بالمعاني السابقة وفصله عن أصله التعبدي.

وخلاصة النظر في هذه المقررات أنها بنت مادتها بناء جيدا في الجملة من حيث عرض القيم، ولم أر فيها شيئا مما يمكن اعتباره قيما حداثية غربية، نعم يمكن اعتبار بعض الدروس خارجة عن المراد من التربية الإسلامية ويمكن إلحاقها بمواد أخرى، كالإعلام، والتواصل، فعرض قيم الإسلام بأسلوب عصري لا يستدعي كل هذا الخروج عن الموضوع داخل حصة هي حصة التربية الإسلامية، كما أن ربطها بحاجة العصر لا يسمح بهذا الأسلوب الإعلامي.

إذن أين الخلل؟.

1- إخضاع القيم الإسلامية للمنظور النفعي :

فإذا سلمنا أن برامج التربية الإسلامية لم تدخلها قيم الحداثة الغربية بشكل كبير، بله أن تتضخم فيها، فإن عاملا مهما يمكن اعتباره تضخيما لقيم الحداثة على حساب القيم الإسلامية في برامج التربية الإسلامية، وهو قيمة النفعية المادية التي عوملت بها القيم الاسلامية والتي سبقت الإشارة إليها.

فالمشرع الذي نظر إلى التربية الإسلامية، على أنها مادة فيها دروس دينية وهذه الدروس إنما تعنى بعلاقة المخلوق بخالقه، وهذه العلاقة في المنظور الحداثي خارجة عن العلمية لا رتباطها بالغيب، **ثم هي لا يرجى منها شيء تحققه مما يتعلق بالأهداف الأربعة للتعليم**، -وهذه الأهداف تمكن فقط من التصارع على لقمة العيش- لما رأى المشرع هذه الخاصية وضع لها من المعاملات ما يناسب هذا المنظور، ومن الساعات ما يكافئ ذلك، وهكذا حصل تحجيم القيم الإسلامية المتضمنة في اعتقادنا لقيم المواطنة الصالحة المصلحة، وقيم التحضر.

وإذا نظرنا إلى المقررات ذات الصلة من تاريخ وفلسفة ولغات بكاملها سوى العربية، نشعر بضآلة ما تقدمة برامج التربية الإسلامية، وقد أدى هذا إلى زهد التلاميذ فيها على الرغم من غناها بالقيم النفيسة.

2- تضخم واجبات المادة الإسلامية مقارنة بحجم حصصها ومعاملاتها :

وهناك عامل آخر نعتبره ثمرة من ثمرات طغيان قيم الحداثة الغربية السلبية، هو أن أستاذ المادة يكلف بعدد غير معقول في فن التربية من التلاميذ، نظرا لحجم الحصص الضئيل لكل فوج، مما يفسد العملية التربوية، فالأستاذ مطالب بأن يجري عددا من الفروض المحروسة، وعددا من الإعدادات الشكلية، إضافة إلى عدم الاستقرار في طرائق التدريس، كل هذه العوامل تجعل الأستاذ يشعر كأن مادته على الهامش مما يقلل الرغبة في العطاء، والإبداع، بل التلاميذ أنفسهم يفسرون تهاونهم بالمادة بهذه المظاهر.

3- قصر تدريس القيم الإسلامية على مادة التربية الإسلامية :

إن المستعمر في مصر لما شعر بقوة ما تحمله قيم الإسلام، وما يمكن أن تقدمه المواد ذات الصلة، حجم الإسلام في مادة التربية الإسلامية، وحجم حصصها، وبذلك استطاع أن ينفرد بعقل التلميذ ووقته لملئه بما يشاء، فالتاريخ كتبه على رؤيته؛ فلا ترى إلا التقاتل على السلطة، وكيد الوزراء، وشذرات من ثمرات الحضارة هنا وهناك، أما الفلسفة والفكر الإسلامي، فكل ما يقدم ليس فيه ما يبني المعرفة وينمي المكاسب الإنسانية، وإنما هناك طوائف ومذاهب متناحرة حول قضايا غيبية، لا تثمر في الواقع عملا بل فرقة واختلافا، مع أن الفكر الإسلامي فكر أسس أعظم مناهج التفكير وهو المنهج الأصولي، ومنهج البحث عند المحدثين، وبنى فلسفة اللغة وقضاياها بناء لم يفطن له اللغويون إلا بعد ما خرج من رحم علم الكلام.

4- التضارب وغياب التكامل بين المقررات الدراسية في عرض المادة الإسلامية :

إن تضارب المناهج التي كتبت بها البرامج، واختلاف الغايات، تحت سيطرة قيمة "فصل تدريس الدين عن الغائية" وإبقائه بوصفه ظاهرة تدرس، من العوامل أيضا التي تسربت لإقصاء القيم الإسلامية، وتحجيم دور التربية الإسلامية. فواضعو برامج التربية الإسلامية لم يتأثروا بهذه النظرة فيما يبدو، لكن النظرة الشمولية لكيفية عرض المواد الأخرى توحي بهذا الأمر، ولنتأمل مادة التاريخ وهي تعرض حضارة الشعوب، ومادة الفلسفة والفكر، ومادة النصوص، فكل ذلك لا يشعر بانسجام فيما يعرض من قيم، بل إن مادة التربية الإسلامية وما تقدمه تجدها في مادة الفكر الإسلامي تفقد أهدافها حينما تعرض بلا مرجعية تجعل التلميذ يزن الأشياء بها على الأقل من وجهة نظر معينة. لقد اعتقدوا أن إلقاء المعرفة بطريقة موضوعية أسلم، ولكن ذلك وهم، ولا يستقيم، فليس هناك موضوعية مطلقة في مثل هذه المجالات، بل هناك مرجعية لا بد من التحاكم إليها، وإلا حصلت فوضى وتشغيب، وتلبيس وحيرة، والنتيجة، انكسار الإرادة وعدم الشعور بأي أهمية.

إننا نرى أن برامج التربية الإسلامية **طغت عليها قيمة النفعية المادية بالمفهوم الغربي في التعامل معها كموضوع** -وليس كعناصر مقرر ومفرداته-، ولذلك حجمت حصصها ومعاملاتها، لأن الدوائر المعادية للإسلام وذات النفوذ تنتفع ما دام المسلمون لا يبنون قيمهم على أساس كتاب الله، لأن في ذلك هدماً لأغراضهم وغاياتهم في العالم الإسلامي، فعقلية الاستعلاء والتفوق تجعلهم يتوجسون من وضع المسلمين يدهم على مصدر قوتهم، لذلك فهم حريصون على شغلهم عنه، ودفع أي ثمرة تثمر من شجر هذا المصدر.

فما الحل إذن؟

للغرب قيم تولد العمل، وتنتج الجودة، واحترام الوقت، واحترام الإنسان كإنسان غربي أو يعيش معهم، والعدل... وغير ذلك مما نحن في حاجة إليه ولا يمكن إنكاره، لكن هذه القيم لها مرجعية تشكل كل برامج تعليمه، ولها اثر في واقعه، وهي سر حيرتنا وصراعنا، واختلافنا المذموم، لأن من يرى هذه الأجواء يعتقد صواب كل ما هناك.

لكن هل ما يتفوق به من قيم تنقص مصادر قيمنا؟ أم أن تجربته تعتبر مثالية في تاريخ البشرية؟ فلاشك أن الجواب بالنفي، لأن نموذج صدر الإسلام لم يصل إليه بعد، إلا أننا فقدنا الثقة فيما عندنا وصرنا نتفوه نحن أيضا بالقيم الإنسانية، بدل أن نقول إنها قيم ربانية، أو قيم قرآنية، أو قيم إسلامية، فإذا كان الأمر يتعلق بعالمية القيم فالقرآن خطابه عالمي، وليس فيه قيمة عنصرية، أو طائفية أو مذهبية، فلماذا لا نربط قيمنا به صراحة؟ وبهذا نقترب من **توحيد المرجعية**، وقطعا هذا لا يمس من أراد أن لا يؤمن بالقرآن، لأن القيمة قوتها في ذاتها لا في مصدرها فقط، فيكفي أن أثرها يعود بالنفع على الجميع.

إن التربية على القيم الإسلامية، التي تشكل الهوية الحقيقية للأمة يجب أن تكون في الأدب، وفي التاريخ، وفي الفكر والفلسفة، وفي اللغات، لأنها نظام الإسلام الشامل، ولأن حصرها في ذلك النوع من الدروس يوحي بكونها خارج سياق الحاجة، وإنما نحاول تكييفها، وهنا تكون الملاحظة السابقة حول إدارج مادة التواصل والإعلام الصحي، وكذا مناهج البحث والتفكير، في التربية الإسلامية أنها عبارة عن تكييف مصطنع ومتكلف لأن موضوع هذه الدروس ليس ما سمي بمادة التربية الإسلامية.

إننا نمتلك تجربة صنعت حضارة لا تزال تأخذ منها حضارة العصر، ولم يكن لدينا يوما مادة اسمها التربية الإسلامية، بل كان إما فقه أو عقيدة، أو سلوك، وإما

تتمة : ص 15

07 ذو القعدة 1431هـ - 16 أكتوبر 2010 م- العدد : 345

مقرر مادة التاريخ ومقاييس الفكر الأوروبي

ذ. أبي القاسم بوعزاوي

يعد التاريخ موردا أساسيا في تشكيل الأجيال وبنائها الوجداني والعاطفي والحضاري، في زمان تتداعى فيه "البلعمة" التي تريد بلع كل الثقافات والخصوصيات، وفرض تاريخ الغالب على تاريخ المغلوب، وفرض تبعية الثاني للأول شبرا بشبر، ودراعا بدراع حتى على مستوى التقسيم الزمني، فالتاريخ الوسيط يبتدئ من476م وهوتاريخ سقوط روما على يد البربر الجرمانيين إلى سقوط القسطنطينية 1453م.

ونظرا لهذه الأهمية الكبرى للتاريخ، اهتمت الأمم بكتابة تاريخها والحرص على عدم تشويهه، وقد كان هذا الوعي حاضرا في تاريخ أمتنا.

ومن هذا المنطلق تتجلى أهمية الكتاب المدرسي عامة ومادة التاريخ خاصة لما يحتويه من بعد فكري وتربوي ووجداني، وحري بمؤلفي الكتاب المدرسي أن يستحضروا مجموعة من الضوابط في إنتاجهم لهذا الكتاب في ظل هذه الحرية التي أعطيت لبعض منتجي الكتاب المدرسي، فلابد أن تحترم قيمنا الحضارية في الكتاب المدرسي لكل المواد، ومادة التاريخ خاصة، ومما يؤخذ أيضا على المقررات المدرسية في مادة التاريخ أنها لا تستعمل الكثير من المصطلحات التي أوردتها المصادر التاريخية القديمة مثل كلمة النصارى والغزوة كالغزوة كبرى بوادي المخازن كما ورد في تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية "الخبر عن غزوة وادي المخازن وذكر سبب خروج النصارى إليه".

- النصارى (محمد المتوكل سمى النصارى أهل العدوة) "وسمى النصارى أهل العدوة واستنكف من تسميتهم نصارى"(1).

- الطاغية التي وردت في مجموعة من الرسائل الديوانية.

وكذا التمييز بين مصطلح وآخر كالغزوة والفتح(2).

وغياب هذه المصطلحات يرجع حسب زعمهم إلى أن الزمان قد تجاوزها وأن ظروف العصر تفرض مصطلحات جديدة، وهذا لعمرك لا يمكنه أن يعطي صورة حقيقية عن الفترة التاريخية.

يكثر في مقررات -مادة التاريخ - الحديث عن التحولات الفكرية والعلمية والفنية (الحركة الإنسية).

الحديث عن عصر الأنوار (الفكر الانجليزي والفكر الفرنسي)، لكن تغيب بقصد أوبغير قصد أحداث تاريخية مهمة نلمس فيها هذه النهضة العلمية والتطلع إلى البناء الحضاري، فمثلا في القرن السادس عشر - اهتم المنصور بالعلوم العقلية والنقلية بشكل كبير فبرز الحيسوبيون، والمهندسون، ففي رسالة مؤرخة بتاريخ 24 يونيو1600 بعث التاجر الإنجليزي بالمغرب Thomas Bernhere إلى العالم الرياضي ادوارد رايت edward Wright يقول : "... إن الملك مولاي أحمد مغرم بدراسة علم الفلك وعلم التنجيم ويجل أعمال الأدوات المتعلقة بالشمس والقمر التي هي من التدبير العجيب للغاية، لذلك فإن كرتك وساعتك ومزولتك الأرضية وآلة السدس وآلتك الفلكية المعدنية الجديدة المتخذة للأميال أوأية آلة فلكية تتعلق بذلك، ستقبل قبولا حسنا، ويمكنك أن تبيع بأثمان جيدة..."(3).

ومن و جوه الاختلال في عرض المادة التاريخية المناسبة أنه لما تم رصد الأوضاع الدينية في العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع والعاشر (الخامس عشر والسادس عشر) وجدنا الكتاب المدرسي "منار التاريخ والجغرافيا للجذوع المشتركة" يخصص الحديث في هذا المقطع عن انتشار المذهب السني والمذهب الشيعي مع العلم أنه في هذا المجال هناك جوانب ساطعة تحتاج إلى إبرازها لأبنائنا من مثل تشجيع العلم والعلماء.

إن دراسة التاريخ تكسب أبناءنا قيما تربوية وأخلاقية، لما تتوفر عليه موادها من عبر وعظات، وهذا الذي نجد الكتاب المدرسي بعيدا عنه كل البعد اللهم إلا ما أتى عرضا، والذي جعل أيضا هذه الشقة بين مقررات مادة التاريخ والقيم التربوية الإسلامية، هوغياب حديث الكتاب المدرسي عن السنن الربانية، ومن هذه السنن التي تحتاج إلى الوقوف عندها وتعليمها لجيل المستقبل :

1- سنة عاقبة الظالمين والمفسدين لأن التاريخ أثبت أن نهايتهم كانت سيئة ومعيشتهم ضنكا

2- سنة التداول الحضاري ويقصد به مداولة الأيام بين الناس من الشدة إلى الرخاء، ومن الرخاء إلى الشدة، ليمحص الصادقين من الكاذبين، قال تعالى ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾(آل عمران :140).

3- سنة زوال الأمم وفنائها: إن زوال الدول يكون بالظلم والفساد فإذا ما تجبرت أمة من الأمم وعلت في الأرض وأصابها البطر والكبرياء، هيأ الله لها أسباب الانهيار والزوال قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفرعون ذي الاوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد،فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد﴾(الفجر : 6- 14)، انظر مثلا إلى مجد الدولة المرابطية و العباسية وغيرهما كيف تألق، وكيف كان العدو يحسب لها ألف حساب، لما كانت تنشر العدل وتنصر المظلومين وتجاهد لحماية حمى الإسلام، لكنها بعد انغماس حكامها في الملذات وظلمهم للرعية وإثقال كاهلهم بالضرائب انهارت دولتهم وسقطت عروشهم.

4- ومن السنن أن هلاك الأمم يكون بانتشار الظلم، وعدم إقامة العدل، فلقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل وحرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، كما في الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»(4).

من أهم أهداف دراسة التاريخ التعرف على السنن الربانية في الكون، فإن لله سننا في خلقه أرشدنا إليها، وطلب منا التعامل معها، قال تعالى ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾(آل عمران : 137) وقال تعالى : ﴿سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾(غافر :85) فالمطلوب من المسلم هوالتعرف على هذه السنن الربانية.

إن مقرراتنا الدراسية عامة وفي مادة التاريخ خاصة تحتاج إلى مراجعة شاملة نستحضر فيها قيمنا وهويتنا وهذا لا يعني أن لا نستفيد من تجارب الأمم السابقة ونعرف تاريخها ولكن الذي نرفضه هو أن تصير المقررات غارقة في الحداثة ضاربة عرض الحائط محطات ناصعة من تاريخنا ما يقوي شخصيتنا بين الأمم والشعوب، هذا إذا كان لدينا وعي بأهمية التاريخ وخطورته على مستقبل أجيالنا.

1- ص 70 الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى الدولة السعدية الجزء الخامس وفي الصفحة نفسها رسالة محمد المتوكل إلى العلماء وردهم عليه.

2- ص 70 الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى الدولة السعدية الجزء الخامس وفي الصفحة نفسها رسالة محمد المتوكل إلى العلماء وردهم عليه.

3- الرسالة كاملة في المصادر الدفينة -source ined, H.de Cas tries,1série anglaise,2, 168- 170.

4- رواه مسلم -انظر صحيحه 4/1994 رقم 2577.

دعائم النجاح في التربية والتعليم

د. سعاد الناصر

التعليم بمختلف مراحله، هو المحضن النظامي الأساسي - بعد الأسرة- للتربية الخُلقية والفكرية والثقافية لأبناء المسلمين، ولكي يؤتي ثماره لا بد أن يقوم على مقومين أساسيين:

المقوم الأول المناهج والتكوينات المستمدة من التخطيط العلمي والواقعي والمتناسقة مع قيم الإسلام ومبادئه وتعاليمه القويمة.

المقوم الثاني إعداد وتربية وتكوين المعلم والأستاذ تكوينا علميا وخلقيا منسجما مع مرجعية الأمة الدينية والحضارية. ومن خلالهما تتشكل شخصية الفرد، وتتحدد قيمه ومعارفه ومهاراته وسلوكياته، وتفسح المجال الحقيقي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وللتغلب على المعوقات والمشكلات التي تعتبر بمَثابة قُيُود على الأمة تحد من انطلاقها، وتعوق مسيرتها الحضارية. وأي خلل أو قصور أو تهاون في هذين المقومين ينعكس تخلفا و تبعية وحصرا للرقي الحضاري.

ومنذ أن خرج الاستعمار وسياسته التعليمية الهادفة إلى غسل العقول وإفراغها تماماً من شحناتها الإسلامية التي تربطها بالعقيدة والتاريخ الإسلامي، وملئها بشحنات جديدة تقيم رباطًا مشوهًا بينها وبين حضارة الغرب، وتتمخض عن نماذج بشرية مستغربة ومستلبة، عرف النظام التعليمي والتربوي بالمغرب العديد من المستجدات والتغيرات، وجرب العديد من المناهج والمشاريع التربوية التي اعتمدت بالأساس على مرجعيات وتصورات مستوردة غير منسجمة مع خصوصياتنا الحضارية والدينية والاجتماعية، وفي الحديث النبوي نجد رسول الله ﷺ قد أنكر مثل هذه التبعية التي تفقد الأمة هُويتها وأصالتها، إلى حد تغدو فيها ذيلاً تابعًا للآخرين حين قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

وبسبب هذا التجريب القائم على التبعية كانت الحصيلة الأزمة الخانقة والفشل الذريع في تحقيق الأهداف التربوية والتنموية، والتفكك الواضح بين النظام التعليمي والنسيج الاقتصادي والاجتماعي. وأصبح واضحا أن المؤسسات التعليمية تعتبر حقول تجارب لمشروعات مستوردة، وأن وضعها الخطير وغير المجدي، أدى إلى جعلها تابعة لمؤسسات التعليم الغربي، وللسياسة الدولية بصفة عامة، بل إن قضية تغيير المناهج التعليمية في المنطقة الإسلامية، وليس في المغرب وحسب، لم تعد شأنا وطنيا تنظر فيه الدولة حسب خصوصيات شعبها واحتياجاته، وإنما أصبحت تسيطر عليها الهيمنة الغربية وتخضعها لبرامجها وقيمها، الأمر الذي أدى إلى تزايد تدنى التحصيل المعرفى وضعف القدرات التحليلية والابتكارية، واطراد التدهور فيها، والانسلاخ من القيم الإسلامية شيئا فشيئا، وعدم تفعيلها في الممارسة السلوكية للمعلم والمتعلم، ولكل أفراد المجتمع بصفة عامة.

ولعل الضغوطات الدولية والأدوات الفاعلة لثقافة العولمة لا تترك المجال لتخطيط تعليمي وتربوي سليم، نابع من خصوصياتنا الحضارية والدينية، ومرتبط مع روح العصر، إلا أن هذا لا يعفينا كلنا من المسؤولية، بل يجب أن يدفعنا إلى رفع رايات التحدي عبر التركيز على أمرين اثنين:

1- التجديد في المناهج التي تسعف في اكتساب المعارف والتقنيات والكفايات بشكل منظم وفعال، وفي تنمية مهارات التفاعل مع المجتمع، وتنمية التعامل الإنساني والنفعي مع العالم، بما ينسجم مع المنظومة التربوية الإسلامية، مع التركيز على المضامين الكيفية بدلا من الحشو الكمي، والعناية بالتربية الخلقية عناية شديدة باعتبارها جزءًا من هوية الأمة، وبناء شخصية الانسان. والنظر الجدي في القيمة الحقيقية لمخصصات الإنفاق على التربية والتعليم.

2- إعادة النظر في الرسالة الحضارية التي يقوم بها المعلم والأستاذ، واعتبارها من أخطر الرسائل ذات الأبعاد المصيرية الشاملة، وذلك بتكوينه التكوين العلمي والخلقي المعتبر والمنضبط بضوابط القيم الإسلامية، الذي يجعله مؤهلا لتربية وتوجيه أجيال من الأطفال والشباب، وتوفير البرامج التدريبية التي تساعده على التحول من كونه ناقلا للمعرفة إلى كونه مشاركا ومطورا لها، قادرا على التفاعل المستمر مع تحولاتها، وتشجعه على الابتكار والتجديد في عمليات التعلم والتعليم، بتجديد تكوينه واستمراريته، وتطوير أساليبه ووسائله وأدواته، وتجعل منه مثالا حيا للمتعلم، لأن وظيفة التربية وظيفة إنسانية بالدرجة الأولى، وبدون تأهيل المعلم لها تأهيلا علميا وخلقيا ينتج مردودية رديئة تتجلى أبرز مظاهرها على مستوى الفرد في استفحال الغش، والانسحاب من الدرس سواء بالغياب الفعلي أو الذهني، وشعور المتعلم بالملل وعدم التأثر وتدني أخلاقه، وعلى مستوى الأمة في التخلف والتبعية والسقوط الحضاري.

إن التعليم عملية تربوية لا غنى عنها في أمة "اقرأ"، ولن تؤدي رسالتها الكاملة إلا بمحافظتها على ثوابت حضارتها وقيمه، وبقدرتها على التغيير المستمر والشامل الذي ينقل الواقع المتردي إلى واقع حضاري يعيش فيه الإنسان بكرامة وحرية وتوافق، كما أن دورها يظل ناقصا بدون تضافر مؤسسات تربوية أخرى كالأسرة والمسجد والإعلام، وأي تهاون أو عدم تكامل يؤدي إلى زيادة استفحال الأزمة، وما نعيشه يكشف أنه لا مجال من التنبه إلى أن أي مساومة على الثوابت وأي فصل بين القيم التي نؤمن بها وسلوكياتنا، وأي مشروع تعليمي لا ينبع من واقع الأمة وتصورها، لن يؤدي إلا الى عواقب أبشع مما نحن فيه.

نافذة المرأة المسلمة

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي

وليس من رأى كمن قرأ

وتوقفت السيارة التي كانت تقلنا أمام باب البيت السريلانكي الذي كنا مدعوين لزيارة دعوية له، وألفينا أنفسنا ندلف إلى منزل جد بسيط تؤثثه بدءا من العتبة، أفرشة إسفنجية وأغطية رقيقة متواضعة تكاد لا تغطي الأرضية الشاسعة للبيت.

ولفت نظرنا ونحن نلج إلى غرفة الاستقبال افتقادها للمسة "الحذاقة" التي تميز البيوت المغربية حتى لتغدو في كثير من الأحيان وسواسا قهريا يستهلك جهد ووقت نسائنا و يسلب فئة منهن متعة العلم والتعلم المفضية إلى القرب من الله عز وجل ومعرفة عظمته وقدرته سبحانه وتعالى ودورهن الرسالي في إيصال هذا الخير للناس أجمعين.

وحتى أكون صادقة معكم أحبتي القراء ففي البدء انتابنا شعور لا إرادي دفعنا دفعا لمقارنات حمقاء، فخمنا للتو أن نساء البيت السيريلانكي لسن " حاذقات " بما يكفي وأنهن مقصرات تجاه أزواجهن وبيوتهن ..

ولم يكن ذلك الشعور الشيطاني إلا صدى خفي لمخلفات تهلهل المنسوب الإيماني في قلوبنا، الشيء الذي يفضي بنا بين الوقت والآخر إلى التوقف عند القشور والتغاضي عن الجوهر والمعاني الرابضة خلف الصور.

وشاء الله سبحانه لنا ونحن نقترب منهن أكثر، ويسري دفئ الأخوة وحميمية الجسد المسلم المتواشج في كياننا، أن ندرك إلى أي حد كنا غافلات وسطحيات (على الأقل بالنسبة إلي أنا الباحثة باستمرار عن كل الجغرافيات وكل الناس النافعين لأرمم صدوعي الروحية وأشذب جهلي المكعب، لعلني أتبين معالم الطريق إلى الله تعالى على طريق المصطفى ﷺ) أجل، لم تكن لمسة الحرص المبالغ فيه غائبة لدى أخواتنا السيريلانكيات عن سبق إهمال وقصور في العناية ببيوتهن، وإنما هو الهم العظيم والفكر للدين الذي يجعل الإنسان اليقظ لا يضيع الجهد ويستفرغ الطاقة والعمر في التلميع والتنميق حد الإسراف المفضي إلا انفلات العمر سدى والعياذ بالله..

ولا عجب فمتى ذاقت النفس من طبق الإيمانيات وأوغلت في التدبر في نعم الله عز وجل، واستزادت من أطايب الغداء النبوي قولا وفعلا زاد جوعها وعطشها وذهلت عن متاع الدنيا، متاع المحبوبات الزائلة ..

وسبحان الله، ونحن نجالس أخواتنا السيريلانكيات، سنعرف مكامن أمراضنا التي جعلت بيننا وبين عمل رسول الله ﷺ حجابا..

استقبلتنا نساء البيت بحفاوة ألجمت قلوبنا قبل أفواهنا، كانت ملامحهن السمراء تشي بفرح بالغ وهن يحضننا ويقبلننا بكل المحبة، كأننا قريبات حميمات ولسنا كذلك إنما هي آصرة الدين التي تلحم بين المشاعر، وإن تباعدت الأجسام والمنازل.. بل تباعدت القارات.. ألسنا من إفريقيا وهن من آسيا؟!

وكان أول موعد لنا مع هذه الآصرة الربانية حين استبقتنا ربة البيت إلى الغرفة التي سنستريح فيها، وسنضع فيها أمتعتنا، فقد كانت بكل بساطة غرفة نومها الزوجية بسريرها الكبير وأغطيتها الحميمية.

تسمرنا أمام الباب وعقدت ألسنتنا دهشة ليست ككل الدهشات، وسنعرف فيما بعد أنها عادة لدى السيريلانكيات المسلمات حين يستقبلن نساء الدعوة في بيوتهن، فأجمل عربون محبة للدين في عرفهن هو بدل أكثر الأماكن حميمية وتكريما في بيوتهن :غرفة النوم إلى الضيفات!!!

وكانت ملامح النساء اللواتي اصطحبننا إلى عتبة الغرفة تشي بامتنان عجيب أحرجنا أي والله. فبرحمتك يا ساتر العيوب اجعلنا خيرا مما يظنن واغفر لنا ما لا يعلمن!!!!!!

ودخلنا إلى الغرفة الشاسعة الوضيئة على مضض تتبعنا عيونهن المترصدة، وبسماتهن الدافقة حنانا، وبقين واقفات يراقبن بانبهار أدق حركاتنا ونحن نرتب أمتعتنا . ولكسر ذلك الحاجز النفسي المتأتي من جهلنا بلهجتهم استعضنا عن الكلام بلغة الإشارات مع بضع كلمات إنجليزية بين الحين والآخر كنا نوجهها للفتيات المتعلمات من بنات البيت و كان لها مفعول السحر في فتح الباب للتعارف..

ومرة أخرى سنكتشف مع أسمائهن الفريدة والاستثنائية طعم حبهن للدين وللقيم الإنسانية النبيلة، أسماء من مثل : منذرة، شهمة، نور مديحة، زلفية، منورة، حسن الفاطمة، نور نصيحة زواهرة، فريهة، زينة الهدى، مؤلفة القلوب، مرضية، رفعة، رملة، نصرة، رميصاء، حسن الرضى، خير النساء ، حسن الخاتمة، رسلة شزيناه، إنسية، رويحة.. فيروزة، ويحة، يسنى، سمحة إلخ...

كن يسردن تلك الأسماء الجميلة جدا وهن في قمة السعادة لإبهارنا، إذ كانت لهن القناعة التامة أننا نحن حقا أهل الإسلام والأحق بالتبجيل والتكريم والإبهار.

وإذ أنهينا تلك الدردشات الأنثوية الدافئة، تناولنا وجبة الغداء المتواضعة، وإبانها كنا مرة أخرى مع درس جديد في التعامل مع نعمة الله عز وجل على سنة رسول الله ﷺ بدءا بالتسمية والأكل بأدب جم دائما وفق السنة النبوية مع عدم الأكل حتى الشبع والتقاط كل الفتات ولعق الإناء ..

لقد كان مشهدا مهيبا تابعنا فصوله مع أخواتنا السيريلانكيات وهن لا يغادرن كبيرة ولا صغيرة في اتباع السنة النبوية إلا تنافسن في ذكرها والعمل بها. وإذ أنهينا وجبة الطعام ونحن كأميرات مذللات تسبقنا أياديهن الرقيقة للخدمة، وخلدنا إلى الراحة التزمت كل واحدة منهن ركنها وشرعن يذكرن الله أو يقرأن من كتاب الله عز وجل.

وغدونا نحن الراصدات لهن لا المرصودات، فقد كان إيقاع حركاتهن على النهج النبوي عبادة وعلما وخدمة فوق كل تصور.

لم يكن في أجندتهن وقت مجاني للغو، أو لإعدام الوقت في التفاهات.. أو تتبع العورات أو هوس "الجفاف" وتلميع الأرضيات صباح مساء كما نفعل نحن، أو إخراج الملابس من الدولاب إلى آلة التصبين آن شروق الشمس وإلى مغربها!! أو التدحرج كالفقمات بين سرير النوم والتلفاز أو الاعتكاف في غرفة المطبخ بين الوصفات والوصفات كما لو كن أحلن على الإقامة الإجبارية فيها!

لقد كان كل شيء في برنامج أشغالهن بقدر، وبغير إسراف مع إيلاء الأولوية للعمل الديني عبادة ودعوة ومعاملات وبكل الإخلاص والتواضع والحزن الدائم لتقصيرهن في الطاعة لله والاتباع لرسوله!!!!!.

أجل يا أحبتي لقد فقهوا رجالا ونساء وتعلموا كيف يرتبوا أولوياتهم لذا وجد ت عندهم حقيقة الدين، وفضل عندنا رسمه وشكلياته، لهذا أيها الأحبة أينما وليتم وجوهكم وجدتم في مجتمعاتنا العربية كتاتيب ومؤسسات وبيوت لتحفيظ القرآن بلا أثر ملموس على مستوى القيم والمعاملات ..

ولا عجب فقديما كان التباهي بالأشياء الدنيوية هو الموضة والهجاس الغالب، وهاهو الدين يدخل اليوم ميدان المباهاة والتنافس فتقول لك الأخت أنا لي ولدان حفظا القرآن وتجيبها الأخرى :ابني ختم القرآن مرتين وتعقب الثالثة متفاخرة : ابنتي فاقت أبناءكم جميعا فقد حصلت على الجائزة الوطنية و الدولية ووو.....

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهل أتاهم حديث رسول الله ﷺ الفصل في هذا الرياء المكعب الذي أحال الدين إلى لعبة لتسويق النفس والعائلة والأبناء، لعبة ماركتينغ كما يقال؟؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد! فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»(رواه مسلم).

ولأن الكلام يطول في بسط أشجاننا، سترنا الله وإياكم إخوتي، دعوني في ختام أتمناه مسكا أدرج لكم (مع شيء من التصرف) هذه الفقرة البليغة المعاني التي قرأتها لأحد العارفين المتمسكين بعروة الدعوة حفظه الله .

يقول هذا العارف الكريم :

عندما رفضت النساء المرضعات رسول الله ﷺ لأنه كان يتيما، أخذته السيدة حليمة فبارك الله لها في ناقتها وفي حياتها وهكذا نحن اليوم، هذا الدين يتيم (بمُتَدَيِّنِيه لا بذاته طبعا) فإذا أخذناه بصدق ومحبة وقناعة، الله يبارك لنا في حياتنا ويصلح أحوالنا كما بارك لحليمة.

وفي حلقة قادمة أحبتي سأفصل أكثر بإذن الله في أبجديات هذه المحبة السريلانكية العملية الصادقة لله ولرسوله فابقوا معي .

آيبون... تائبون!

5– أجمل ليلة

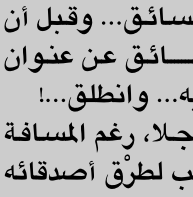

ذة. نبيلة عزوزي

اطمأن إلى زينته أمام المرآة... هرول إلى الشارع، ضجراً من العمل المضني طيلة أسبوع.. أصدقاؤه في انتظاره لإحياء ليلة حمراء، كعادتهم نهاية كل أسبوع!

استقل سيارة أجرة صغيرة... كاد يرجو السائق أن يستبدل الشريط بآخر للموسيقى والغناء... إلا أنه وجد نفسه يستمتع بالشريط!

شعر بالاختناق، أرخى ربطة عنقه.. كلمات المحاضر تلامس شغاف قلبه.. المحاضر يحدثني، وكأنه يعرفني... إه... إلى أين أنا ذاهب؟! تساءل حائرا.

صحا على صوت السائق : حمداً لله على السلامة.. وصلنا!

إلا أنه لم يستطع النزول... والحيرة تستبد به : عيب.. وأصدقائي؟!

أغلق هاتفه، فرنينه يشوش عليه تفكيره أكثر...!

رجا السائق أن يذهب به إلى مكان آخر... عله يستمع إلى الشريط كله... لم يع نفسه، إلا وهو يرشف دمعه، خلسة من السائق... وقبل أن ينزل... سأل السائق عن عنوان الشريط.. فأهداه إليه... وانطلق...!

عاد إلى بيته راجلا، رغم المسافة البعيدة... لم يستجب لطرْق أصدقائه لبابه.. استمع إلى الشريط... بكى بكاء مراً على سنوات من شبابه أفناها في السكر والعربدة... وكان الشريط يتحدث عن التوبة!

توضأ وصلى.. انتابه شعور غريب، وكأنه كان ميتا فأحياه الله..

بكى ساجداً، فغمرته طمأنينة غريبة لم يشعر بها قط.. سمع أذان الصبح، فاقشعر بدنه، وكأنه كان أصم ولم يسمع الأذان قط... هرع إلى المسجد، وكأنه عصفور يطير بعد أن كان حبيس قفص...!

حاول أصدقاؤه بشتى الوسائل إرجاعه إليهم.. هزؤوا منه.. قالوا له : صلّ كما شئت... لكن ساعة لربك، وساعة لقلبك! فقال لهم : وماذا أفعل إن كان قلبي لربي؟! ونصحهم كثيرا.. فلم يستجيبوا له.. فابتعد عنهم!

في المسجد، وجد أصدقاء آخرين، يلتفون حول كتاب الله حفظا وتجويدا وتفسيرا.. المسجد عالم آخر، يشع نورا وجمالا، جعل حياته تتجدد مع كل صلاة، ومع كل آية، ومع كل خطوة، ومع كل نبضة...!

يأسف لأمر واحد، هو أنه لم ير رقم سيارة الأجرة، ولم يتذكر ذلك السائق ليشكره... لكنه يدعو له بظهر الغيب...!

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

الاستعاذة بالله من الشيطان

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك. (يقصد عليك بدوام الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم)

● تفسير القرطبي

"واتبعتهم ذريتهم بإيمان..."

قام أبو زيد البسطامي يتهجد الليل، فرأى طفله الصغير يقوم بجواره فأشفق عليه لصغر سنه و لبرد الليل و مشقة السهر..

فقال له: ارقد يا بني فأمامك ليل طويل. فقال له الولد: فما بالك أنت قد قمت؟ فقال: يا بني قد طلب مني الله أن أقوم الليل. قال الغلام: لقد حفظت فيما أنزل الله في كتابه: " إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك" فمن هؤلاء الذين قاموا مع النبي ﷺ؟ فقال الأب:إنهم أصحابه فقال الغلام: فلا تحرمني من شرف صحبتك في طاعة الله. فقال أبوه وقد تملكته الدهشة، يا بني أنت طفل و لم تبلغ الحلم بعد، فقال الغلام: يا أبت إني أرى أمي وهي توقد النار تبدأ بصغار قطع الحطب لتشعل كبارها فأخشى أن يبدأ الله بنا يوم القيامة قبل الرجال إن أهملنا في طاعته فانتفض أبوه من خشية الله و قال: قم يا بني.

الخشوع في الصلاة

سئل حاتم الأصم (رحمه الله) كيف تخشع في صلاتك؟ فقال : بأن أقوم وأكبر للصلاة، وأتخيل الكعبة أمام عيني، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأن رسول الله ﷺ يتأمل صلاتي، وأظنها آخر صلاة، فأكبر الله بتعظيم، واقرأ بتدبر، وأركع بخضوع، وأسجد بخشوع، وأجعل صلاتي الخوف من الله والرجاء لرحمته، ثم أسلم ولا أدري هل قبلت أم لا..

وقال (رحمه الله): كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس، فإنها من سنة رسول الله ﷺ : إطعام الضيف إذا حل، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا حل ووجب، والتوبة من الذنب إذا وقع.

● الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي

استغفار التائبين النادمين

سمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري لَلؤم، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لَعجز، فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني، وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك! يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، أدخل عظيم جُرمي في عظيم عفوك، يا أرحم الراحمين.

وقال أبو عبد الله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى "اللهم إني أستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم. ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام.

أسئلة وأجوبة

روي أن علياً عليه السلام ساءل ابنه الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المروءة، فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبه السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله. قال: فما الدقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه من اللؤم، قال: فما السماحة؟ قال: البذل في اليسر والعسر، قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكوص عن العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله عز وجل لها وإن قل، فإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما المَنَعَة؟ قال: شدة الباس ومنازعة أشد الناس. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب عن كل ما استرعيته. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك لإمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة والاحتراس من الناس بسوء الظن. قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك.

وعلق المؤلف قائلا: قال القاضي: في هذا الخبر من جوابات الحسن أباه عما ساءله عنه من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه، ووعاه وعمل به، وأدب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده.

● الجليس الصالح والأنيس الناصح المعافى بن زكرياء

التاريخ القديم للصك (الشيك)

ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة، أوصى ابنه عمرا بقضاء دَينه، فلما مات وبدأ ابنه في رد دَينه...أتاه شابٌ من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولىً له عليه. فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك، فلما قرأه بكى وقال: نَعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه...

● الأغاني أبو الفرج الأصفهاني

تعليق: ما أحوجنا إلى استعمال هذا المصطلح العربي الأصيل (الصك)، عوض المصطلح الآخر(الشيك) الذي عبر من بلادنا إلى الغرب ثم عاد إلينا بصيغة غريبة.

الربح المعقول عند البيع

يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان، ضَرْبٌ قيمة كل حلة منها أربعمائة، وضربٌ كل حلة قيمتها مائتان، فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها، فاشتراها فمضى بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف حلته، فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال بأربعمائة، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها، فقال له يونس: انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم. وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله. وقال: أما استحييت، أما اتقيت الله، تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين!!. فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها. قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك؟

● إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

مناهجنا التربوية في معترك القيم (تتمة)

هدى القرآن محض حسن "الله نزل أحسن الحديث" فإن تنزيل هذا الهدى الحسن الأحسن على الإنسان قبل الجدران، على الأرواح قبل الأشباح، على الفكر والسلوك، إنما هو حقيقة فعل العمران المنشود، بمعنى أن فقه قيم الدين الجميل بطريق الترتيل الإيماني، لابد وأن يصدر عنه تلقائيا حفظ صلاح العمران وصون طمأنينته على سبيل التشكيل التربوي، وأي تخلف لهذا الاطراد المتيسر في حده الأدنى لكل عاقل لابد أن يعود على أصل جمالية التدين العمراني بالإبطال.

ومن هنا لابد من تعميم قيم الحسن القرآني المفضية إلى تشكيل الحسن العمراني...لابد من تأهيل برامج التعليم لأجل صياغة عقلية العمران بميزان القرآن...لابد من تأهيل برامج الإعلام لأجل تحصين نفسية العمران بميزان القرآن... بتعبير آخر لابد من صياغة العقل الراشد والخطاب القائد والتدين الشاهد، الذي يتحصل به نماء العمران على المستوى الكمي وطهارته وجماليته على المستوى الكيفي، حتى يتحقق المقصد العام من التكليف، وهو التزكية النفسية والاجتماعية للأفراد والجماعات والمؤسسات، بحيث يغمر المجتمع نماء نفساني بالإيمان وزيادة في الخيرات بالعمل الصالح.

2- التفكير المنهجي في ماضي الذات وفي حاضر محيط الذات إبصاراً للمستقبل الحضاري الراشد للذات: وهو يقتضي -فيما يقتضي- ثلاثة أمور:

أ- استيعاب تراث الذات: والغرض منه الوعي بخصوصيات المنهج الإسلامي عند السلف في حل مشكلات الفكر والتربية وتبديد أزمات الحضارة والقيم، ثم الاستئناس بها في تشخيص جديد لأدواء الواقع، وعلاج متجدد لآفاته الحضارية والتربوية، إذ "لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" وصدق من قال "أول التجديد قتل الماضي بحثا"

ب- التمكن من المعارف المعاصرة لمحيط الذات: والغرض منه الاستيعاب الاستصلاحي لا الاقتراضي لمعارف الآخر لأجل الاستفادة منها في حفظ صلاح العمران وتحسينه، ويمس ذلك جانبين اثنين:

- **الجانب الإنساني:** إذ المعارف الإنسانية الغربية لاتنفك عن خلفيتها العقدية وصيرورتها التاريخية، لذا وجب استصلاحها -بالمفهوم الأصولي للاستصلاح-(4) وذلك بتمييز مناهجها ونقد نتائجها بما يوافق منظومتنا الفكرية ومذهبيتنا الإسلامية.

- **الجانب المادي :** إذ معارف الغرب المادية أقل تأثرا بهويته الثقافية، لكن محز المشكلة فيها منهج التوظيف الذي ينبغي هو الآخر أن يخضع لعملية استصلاح تخدم الإنسان وتحفظ توازن العمران.

ج- سد النقص الحاصل بالصالح الصادر قبل الوافد: إذ ما تعانيه الأمة من فراغ في مختلف المجالات، وخصوصا في المجال الإنساني، وعلى الأخص في جانبه المنهجي نحو مناهج التعليم والبحث العلمي، إنما ينبغي سد النقص فيه ابتداء بما هو أهل لذاك مما صدر عن الذات من خلال التراث، إذ هو الأوفق بالنسق العقدي والكيان الثقافي، حتى إذا عز ذلك اقتبسنا منفعته مما هو وافد على الذات بعد إجراء الاستصلاح.

أما ما يتعلق بالوسائل المادية فلا ضير في سد الحاجة فيه بالاقتراض وذلك بعد الاجتهاد في حسن التوظيف وكفاية الأمة مؤنتها الوسلية.

وبعد فقد أتى على بلاد الإسلام، بعد جلاء جسد الاستعمار، حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا، خصوصا وقد مر على غالبها زهاء نصف قرن، وهو يتخبط بين أمواج الفساد والحيرة والضعف، حتى كاد الحال أن يصير -والعياذ بالله- أسوأ من حال من قال فيهم سبحانه ﴿أربعين سنة يتيهون في الارض﴾.

ألا وإن تخريج الأجيال الصالحة المصلحة رهين بإخراج مناهج التعليم الصالحة وفق منظومات القيم الصالحة، ولا إخراج لإصلاح بغير خروج لصلاح "فهل إلى خروج من سبيل".

1- ينظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور 410/1

2- أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح.

3- أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع.

4- ينظر الفصل الثاني من "أبجديات البحث في العلوم الشرعية" للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله.

محنة اللغة العربية بين أهلها! ماذا تخسر الأمة عندما تهمل لغتها؟

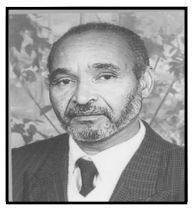

د. الحسين گنوان

فضلنا أن نستهل الحديث في هذه الكلمة المتواضعة بعُنوانين لكل منهما دلالته بخصوص وضعية اللغة العربية بين أهلها، وكل منهما يتضمن كلمة تعبر عن جانب من هذا الواقع :

فالعنوان الأول يتضمن كلمة محنة، وذلك أن ثمّة محنة بالفعل تعيشها اللغة العربية بين أهلها! وتتجلى هذه المحنة في الإعراض عنها، وعدم الإنتاج بها، ثم الدعوة إلى هجرها أحياناً لدى البعض، والبحث عن بديل عنها.

أما العنوان الثاني فيتضمن كلمتا إهمال أولا ثم الخسران ثانيا، هكذا ينبغي أن ترتب دلالة الكلمتين عكس ما هما عليه في العنوان. ولهذا الإهمال الذي أصاب اللغة العربية الممتازة في بنيتها بشهادة الأعداء والخصوم عوامل كثيرة داخلية نابعة من قلب الأمة التي أصابها الضعف والوهن منذ زمان، وخارجية ممارسة من لدن القوى الأجنبية التي استغلّت لحظة الضعف التاريخية ونشبت أظافرها في جسم الأمة تستغلّ طاقاتها المادية والمعنوية بشتى الطرق وأبشع الوسائل. تلك بعض معالم الإهمال.

أمّا ماذا يترتب عن هذا الإهمال من خسارة للأمة فهو ما سنحاول الإجابة عن جانب منه من خلال ما سنورده في هذه الكلمة من تفصيل. ولذا سنلامس محورين هامّين بهذا الخصوص : أولهما : مفهوم اللغة بصفة عامة ووظيفتها في المجتمع. وثانيهما : اللغة في علاقتها مع الإنسان، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالان عريضان : أولهما : هل يمكن تصور أمة أو مجتمع بدون لغة تميزه؟! وثانيهما هل يمكن أن تتحقق إنسانية الإنسان بدون لغة؟! في سياق الإسهام في مناقشة هذين السؤالين. ولا نقول الإجابة عنها، نتحدث عن مفهوم اللغة في هذه الحلقة على أن نخصص الحلقة القادمة للغة والإنسان بحول الله.

أولا : مفهوم اللغة ووظيفتها

معنى اللغة شيء معلوم عند العامة والخاصة، لكن درجة هذا العلم ومقداره تختلف من شخص لآخر، وذلك حسب المعطيات العلمية والحضارية التي تتظافر على بناء مفهوم اللغة وتحديد وظيفتها لدى كل شخص. فلو سألنا عدداً من الناس في بلدنا وفي غيره من البلدان عن معنى اللغة ووظيفتها لأجابوا بدون أدنى تردد، قائلين : هي ما يتكلم به الإنسان، وهي التي نتخاطب بها ونتواصل. وهذا صحيح لا ينكر. لكن ثمّة جوانب أخرى لمفهوم اللغة في إطار وظيفتها التواصلية لا يفهمها، ولا ينْتَبهُ إليها كثير من الناس، ومنها على سبيل المثال : اللغة والتاريخ، واللغة والمعتقدات، واللغة والقيم، واللغة والعمران..الخ.. وبهذا الفهم لا تقتصر وظيفة اللغة على التواصل الآني، بل تتعدى زمان اللحظة الآنية لتكون خزانة لحياة الإنسان المعبر بها، بحيث تحتضن المفاهيم لتربط بين الأجيال ، وتثبت نسبة اللاحقة منها بالسابقة نسبة شرعية حضرياً، وفي هذا السياق نورد مجموعة من التعاريف التي تبرز تصور أصحابها لمفهوم اللغة حسب معطيات كل واحد منهم العلمية والحضارية، وهذه التعاريف قسمان : عامة، وخاصة.

1- التعاريف العامة وهي :

أ-1- اللغة في عرف اللغويين العرب : «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» الخصائص .33/1.

ب- 1- «اللغة وسيلة إنسانية.. لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز..» إدوار سابير.

حـ-1- «التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات المؤتلفة في كلمات» هنري سويت.

تلتقي هذه التعريفات في أن وظيفة اللغة هي : توصيل الأغراض أو الأفكار والانفعالات.

2- وهناك تعريفات أخرى تنظر إلى اللغة على أنها سلوك اجتماعي وهي :

أ- 2- «اللغة نظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطتها يتعاون أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة» إدحاستير تفنت (أمريكي).

ب- 2- «اللغة نظام من العلامات يفرض نفسه على جميع الأفراد في مجموعة واحدة» جوزيف ڤوندريس (فرنسي).

حـ- 2- «اللغة نظام من رموز صوتية مخزونة في أذهان الجماعة اللغوية» أولمان.

هكذا نلاحظ أن تعاريف المجموعة الثانية (أ- 2، ب- 2، حـ-2) تتّخذُ في أن اللغة نظام من الرموز أو العلامات. ثم يتفرد كل تعريف بجملة أو عبارة تدل على نظرة صاحبه الخاصة التي تميزه عن غيره. ولذا نورد هذه الجملة أو التعابير لأجل تأملها وأخذ العبرة منها مرتبة كما يلي :

أ- 2- «بواسطتها يتعاون أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة».

ب- 2- «يفرض نفسه على جميع الأفراد في مجموعة واحدة».

حـ-2- «مخزونة في أذهان الجماعة اللغوية».

وكيف ما كانت دلالة العبارة الخاصة بكل تعريف من هذه التعاريف الثلاثة، فإنها كلّها تدلّ على ضرورة وحْدة أفراد المجموعة اللغوية الخاصة بسبب تأثير تلك اللغة، وهذا ما تجسمه الكلمات التي تعتبر كلّ منها محوراً متميزاً في عبارة تعريفه، وهذه الكلمات هي (يتعاون في أ-2) و(يفرض نفسه في حـ-2) و(مخزون في حـ2). وكل كلمة من بين هذه الكلمات الثلاث يحمل مفهوماً خاصّاً يعتبر ذا أهمية في بناء شخصية الأمة ككل فثمة فعل (يتعاون) الذي يدل على ضرورة وجود سلوك إنساني حضاري بين أفراد المجموعة البشرية التي تتواصل بلغتها. الموحّدة ، وثمة جملة (يفرض نفسه) التي تعني أن اللغة تشكل عاملاً من عوامل القوة الحسّية التي تمارس سلطتها على كل فرد من أفراد المجموعة اللغوية حتى ينصهر فكرياً دون إرادته ضمن أفراد المجموعة التي تتكلم تلك اللغة، ويخضع لقانون المصلحة العامة الاجتماعي. وأخيراً كلمة (مخزون..) التي تشكل رصيداً معنوياً لتوحيد أفكار وتوجهات الجماعة اللغوية المعينة. وعليه فالتعاون يجسم المصالح المشتركة ويفرض نفسه، يُهذّب الطاقات الجامحة التي ترغب في الخروج عن الصف ريثما تتوفر لها الحماية الداخلية عن طريق (مخزون) المبادئ والأفكار والقيم لتنسجم مع أفراد الجماعة اللغوية بإرادتها.

والنتائج التي يمكن استخلاصها من خصوصيات هذه التعاريف من تعاريف المجموعة الثانية (أ-2، ب-2، حـ-2) كما يلي :

1- لابد من لغة موحدة لكل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة.

2- لابد لأفراد المجموعة المتساكنة من لغة تفرض نفسها على أفراد تلك المجموعة حتى يسود التفاهم والتعاون بينهم فيما يجمعهم من مطالب الحياة.

3- لابد أن يتوفر أفراد المجموعة اللغوية المتساكنة على حمولة ذهنية لرموز تلك اللغة ومفاهيمها أي ما يمكن أن نسميه وحدة المرجعية الفكرية.

وعليه فلأجل أن يصح إطلاق مصطلح مجتمع على مجموعة بشرية مّا متساكنة لابد أن تتوافر لها هذه المواصفات وما يشبهها.

وإلا انقلب التعاون إلى تناحر، والانسجام إلى تنافر. والوحدة إلى فرقة...

ويبدو أن غياب مثل هذه المواصفات، وعدم توافرها لدى بعض المجموعات البشرية المتساكنة، من أسباب ما يسمع ويشاهد في هذه البقعة أو تلك من بقاع العالم، من قلاقل وحروب وصراعات!

يتبع.

قيم الحداثة تحجم القيم الإسلامية..... (تتمة)

أصول أو علم حديث، أو سيرة أو تفسير...ولو وجدت مقررات بهذا النحو وأعطيت الحصص الكافية لحققنا الذوق الرفيع في الأدب، والخلق القويم في السلوك، والرؤية السديدة في قراءة الأحداث وتفسيرها وتعليلها وأخذ العبرة منها، وكذلك لو يعطى للنص القرآني والحديثي مكانه في الحفظ والدراسة لحققنا إنباتا للقيم والمرجعية العليا.

ومن واجب هذا الطموح أن تقدم النصوص الأدبية الرائعة الخادمة، وتعرض الدراسات التاريخية الملائمة. إن تسمية مادة التربية الإسلامية بهذه التسمية، تعين على تحقير ما يقدمه القرآن والسنة من حلول على مستوى التصورات، والنظم، وإن نوع الدروس والحصص والمعاملات، لتعكس قيمة النفعية المادية الحداثية الغربية التي عوملت بها، وإني لأرى فيها إعداداً نفسياً ومجتمعياً للقضاء عليها بعد هذا الإفقار.

وهكذا تحاصر القيم الإسلامية من جهات متعددة، معاملتها بقيمة النفعية المادية، من حيث المعامل والحصص، والإيحاء بأن ما يقدم هناك هو ما يمثل القيم الإسلامية، طغيان المواد الأخرى بما تقدمه من أفكار وقيم ومناهج مختلفة، الدعوة إلى تطويعها مما يؤدي إلى الخروج بها عن موضوعها، وهو التربية على نظم الإسلام وقيمه وتصوراته.

بِنَبْضِ القلب

خراب العمران

أعجب حين أسمع أو أقرأ عن أناس يملكون الملايير، ويلبسون الديباج، ومع ذلك تجدهم ينصبون على غيرهم بل يتجرأون على النصب على الدولة واختلاس الأموال العامة.. ولكن حين نبحث عن علة هذا المرض الذي نخر أجهزة إدارتها ومؤسساتنا وجعلنا نتبوأ مراكز متقدمة في الارتشاء واستغلال النفوذ، نجد أن انعدام حس المواطنة الذي أساسه انعدام الإيمان والخوف من الدّيان، هو السبب وراء كل الكوارث التي تحيق بالأوطان والإنسان على حد سواء... إن المرء حين يُقْدِم من غير حاجة ولا فاقة على النهب والسَلب، ويصبح همه تكديس الأموال ومراكمتها بالسبل الغير المشروعة حبا في المال والسلطة والوجاهة يكون حينها قد فقد حسه الإنساني ولم يعد لوجوده أي معنى.. إن قيمة تواجد الإنسان على هذه البسيطة يكمن في شيء واحد لا ثاني له، ألا وهو إحسان العبادة إلى الله.

فاستمرار العمران رهين بصلاح الإنسان، وصلاح الإنسان مرتبط أساسا بتحسين علاقته مع الله عز وجل ﴿ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾(الأعراف : 95).

لقد ركز الإسلام في عمارة الأرض على نقاء الإنسان حسا ومعنى، فكان هم الرسول ﷺ وصحابته الأكرمين رضوان الله عليهم هو الارتقاء بالسلوك الإنساني إلى درجة الإحسان، واستحضار مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، وهذا من شأنه تحسين أدائنا الدنيوي، والتصرف في ما أفاءه الله على عباده من خيرات بالحسنى، والسعي في مصلحة الناس من غير تفريط ولا إفراط...

لقد عبرت حضارة الإسلام عن سموها الإنساني، ففي عز نهضتها وتقدمها، لم تعرف صناعة أسلحة الدمار، ولم تدخل أرضا لنهبها، بل كان همها تحرير إنسان تلك الشعوب وهو عكس التحرير الذي تسعى إليه القوى الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

والفرق يبدو واضحا بين الفتوحات الإسلامية التي تركت آثارا وحضارة شاهدة على عصر الازدهار الإسلامي، (الأندلس- الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفياتي) وبين الدمار الذي خلفه الغزو الأمريكي لكل من أفغانستان والعراق، إضافة إلى الاحتلال الصهيوني الذي يسعى إلى طمس كل المعالم الحضارية الغير اليهودية في القدس... ويبقى الإنسان محور كل بناء أو هدم وحلقة مهمة في سمو أو خراب العمران.

ذ. أحمد الأشهب

07 ذو القعدة 1431هـ - 16 أكتوبر 2010 م- العدد: 345

(الجهاد : مواجهة للذات.. والعالم)

أ. د. عماد الدين خليل

يحدثنا الإسلام، من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، عن أن صراع المسلم في العالم (فردا وجماعة) يتخذ اتجاهين، أحدهما باطني ذاتي عمودي سماه الرسول (الجهاد الأكبر)، لما يتطلبه من مصاعب ويستلزمه من قدرة على المقاومة والمراقبة والحذر والتجرد، وهو يهدف إلى مواجهة الإنسان لذاته وتغييرها تغييراً حركيا مستمرا من أجل أن يسقط عنها كل النزعات والشهوات والممارسات السلبية التي من شأنها ان تصدها عن التوحّد الكامل والاندماج الشامل في مسيرة الفكرة التي تتطلب -عبر ديمومتها الحركية- من المنتمين إليها، شروطا نفسية وأخلاقية وذهنية لابد من توفرها إذا ما أريد للحركة إن تصل إلى أهدافها بأشد الأساليب نقاء وتركيزا وتوحدا ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين﴾.

والمسلم يجد نفسه -إذن- إزاء تجربة صراع ذاتي دائم لمجابهة قوى الشر والسلب في نفسه والتفوق عليها، للاقتراب أكثر من جوهر الدعوة التي ينتمي إليها، والاندماج فيه بعد اطراح كل العوائق التي تنبثق في أعماق تكوينه الذاتي، بما تطرحه قوى البيئة والوراثة من مؤثرات. وبدون هذا الصراع الإرادي الباطني من أجل تغيير الذات، فإنه لا ينتظر أبدا حدوث أي تغيير أساسي على مستوى الصراع الخارجي في العالم. إن قاعدة الحركة نحو الأحسن والأكمل عقائديا في صراعنا الخارجي مع القوى البشرية المضادة هو أن نسعى لإحداث هذا التغيير باطنيا ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.. وفي آية أخرى نلتقي بالصيغة المعاكسة ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.. والقاعدة القرآنية في كلتا الحالتين هي أن أي تغير نوعي في الخارج لا يتحقق إلا بعد حدوث التغير الباطني في الذات الإنسانية سلباً وإيجاباً..

أما صراع الجماعة الإسلامية على مستوى العالم، فيصطلح عليه القرآن والسنة باسم (الجهاد)، وهو يتضمن كل أشكال الصراع الخارجي على الإطلاق : مذهبيا، سياسيا، عسكريا، أخلاقيا، اقتصاديا وحضاريا. وهو - بهذا - يمثل مساحة للحركة أوسع بكثير من تلك التي تحتلها صراعات التفاسير المذهبية، لاسيما المثالية والمادية، كما أنه يتضمن ديمومة زمنية يعبر عنها حديث الرسول ﷺ : «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» في الوقت الذي ترى فيه بعض مذاهب التفسير الوضعية أنه سيجيء اليوم الذي يكف فيه الصراع على مستوى العالم. وهو أمر يتناقض مع طبيعة معطياتهم الحركية من جهة، ومع صميم العلاقات البشرية من جهة أخرى..

إن القرآن الكريم يبين لنا كيف أن هذا الجهاد هو صراع دائم بين معسكرين كبيرين كل منهما ينتمي إلى فكرة ويلتزم موقفا ويعمل في سبيل ﴿..الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ ويسم هؤلاء بأنهم يعملون تحت لواء الشيطان، عدوّ بني آدم ومصدر الصراع الرئيسي في العالم، إلا أن كيده يبدو ضعيفا غير قادر على الصمود إزاء آية جماعة مؤمنة تؤثر الجهاد على الاستسلام، والحركة على القعود، لأنها تنتمي إلى الله الذي يملك كل شيء ويقدر على كل شيء، والذي (يدافع عن الذين آمنوا)، بينما ينتمي أولياء الشيطان إلى قوة هي في الأساس جزء ضئيل محسور من خلق الله ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.. ومن ثم يجيء النصر النهائي دوما لصالح المؤمنين المجاهدين الذين يتحركون أبدا بأمر من الله ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾، لمصارعة القوى المضادة والتغلب عليها : ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون﴾.. ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز﴾.. ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.. ﴿..ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾..

وسواء تم هذا النصر لمعسكر الإيمان في مراحل تاريخية محددة، كما حدث فعلا لعديد من الأديان السماوية الكبرى، أم أنه سيتم - ثانية- لحساب الإسلام كحصيلة نهائية للموقف الديني في يوم قريب أم بعيد.. فإن جهاد المؤمنين ماض في بقاع العالم بكل وسيلة شريفة وإلى يوم القيامة، وهو الذي حركهم ويحركهم -دوما- لتحقيق كلمة الله : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾..

ان الجهاد يضع الأمة الإسلامية أمام مسؤوليتها الحركية الكبرى في العالم، ويمنحها فاعلية دائمة إزاء التجارب والمواقف البشرية تتجاوز حدود الزمان والمكان، ويرفعها إلى موقع (الشهادة) على الناس، ذلك الموقع (الوسط) المميز المتفرد الذي لن ترتفع إليه إلا عندما تمارس جهادها الدائم على كل الجبهات، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وقتالا بالكلمة وكفاحا مسلّحا.. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾..

بارقة

أمريكا فوق القانون الدولي

أ.د. عبد السلام الهراس

من علامات خراب الأُمم والدول الظلمُ، ومما يحمل على الظلم الطمعُ والغرور بالقوة واحتقارُ الضعيف وخُلُوّ الساحة ممن يُغير المنكر ويأخذُ على يد الظالم وقد حاولت البشرية بقيادة الدول العُظمى أن تُؤسِّس محاكم دولية لإنصاف المظلومين ومنها المحكمة الجنائية الدولية التابعَة لمجلس حقوق الإنسان الأُمَمي وقد وقّعتْ جميع الدول على قانون هذه المحكمة وفي مقدمتها الأمم الضعيفة إلا أن أقوى دولة في العالم وهي أمريكا رفضت التوقيع على هذا القانون ولا نتحدث عن عميلتها العصابة الصهيونية التي لا تخضع إلا لعِيثها وفسادها في الأرض.

وبحسب التصريحات الأمريكية فإن جنودها قتلوا أكثر من ألف أفغاني مَدني ظلماً وعُدواناً وإذا صرّحوا بأكثر من ألف فالسقف قد يتعدّى الألفين ومن جنودها منْ عندهم هواية سلخ رؤوس قتلاهم لاستخلاص جماجمهم واصطحابها معهم لأعظم ذكرى محاربتهم لطالبان (والمدنيين) ولبشاعة ما يقوم به بعض جنودها من أفعال همجية يسجلون ذلك في مذكرات ينشرونها افتخاراً واختيالا ولاشك أن فيها صوراً لتلك البشاعة والهمجية وقد اضطرت السلطات الأمريكية لإحراق آلاف النسخ من مذكرات ضابط احتياط بدعوى احتواء الكتاب على معلومات قد تضر بأمن الولايات المتحدة ولكن الناشر صرح بأن الدار تعدُّ الطبعة الثانية للكتاب أكثر أناقة وأحسن إخراجاً.

ويعاني المسلمون مضايقات وويلات من بعض المتعصبين الأمريكيين وقد صرحت (كير) أكبر جمعية للمسلمين الأمريكان بأن الإسلام والمسلمين يلاقون مزيداً من الكراهية والأفعال المشينة من قبَل متعصبين ومن ذلك إحراق المصاحف، والعجب أن "كير" صامتة وكذلك المسلمون في أمريكا وخارج أمريكا عن اعتقال الدكتور العمودي الذي أسس "كير" وكانت في عهده أكثر تأثيرا وأعظم تألقا فتآمرت عليه كل من زبانية بوش وبمساعدة زبانية بلير لتلفيق تهمة الإرهاب والحكم عليه بما يضمن لهم أن يقضي نحبه في السجن أما العالمة الباكستانية الدكتورة عافية صديقي فقد حكمت عليها محكمة أمريكية بـ86 سنة سجناً بتهمة مهاجمة جندي مشاة البحرية الأمريكية لقتله عام 2008م فهي إرهابية إذن لأنها مسلمة، أما قتل المدنيين المسلمين الأفغان والاحتفاظ بجماجمهم للذكريات الجميلة فليس بإرهاب.

إن أمريكا استطاعت أن تؤلف عن الإسلام والمسلمين سيناريو الإرهاب وتخرجه إخراجاً متقنا وتطبقه على العالم الإسلامي وقد قرأت وأنا في كندا منذ سنين أن أمريكا تستعد للهجوم على الإسلام والمسلمين بتهمة الإرهاب، أما ما يفعله العالم الغربي في أفغانستان وباكستان فليس بإرهاب، وإن ما يقع في الصومال وغيره من العالم الإسلامي من فتن فوراءها أيادي أمريكية وصهيونية، وما تقوم به الصهيونية في فلسطين من قتل وفتك وسجن للنساء والأطفال فإنه مباح عند الكبار، لذلك فإن أمريكا امتنعت من التوقيع على قانون المحكمة الدولية لتبقى حرة تفتك بالشعوب الضعيفة وتفعل في العالم ما تشاء، وتفتك بمن تشاء، ومرجعها في كل ذلك "الإرهاب" وهو في الحقيقة من تأليفها وصنعها وإخراجها.